راجح الخوري

مغامرة الإنقاذ

منشورات دار العمل

مقدّمة

قبضة رمل إلى متى؟

على امتداد سنوات المحنة الدامية، وقبل ان يتسلم الشيخ امين الجميل رئاسة الجمهورية، كان يملك نظرة متميزة في فهم ابعاد المأساة التي أصابت الوطن، ورؤيا فريدة في وسائل الخروج من الكارثة، والانتقال من دائرة الدمار الذاتي والانهيار الى منطلق بناء الوطن الجديد، وفق قواعد وثوابت راسخة تكفل عدم تكرار التجربة الدموية، والوقوع مستقبلاً في الكوارث.

كان الشيخ أمين الجميل ينظر في ألم شديد، وهو يرى الوطن وقد بات قبضة من الرمل تنساب من بين اصابع اللبنانيين، ويرى اللبنانيين قبضة اخرى من الرمل تنساب من بين اصابع الوطن. وكان مطلوباً وقف هذا التسرب القاتل وهذا السقوط المفجع للوطن والمواطن.

وكان مطلوباً لتحقيق هذا الأمر معجزة أو ما يتجاوز المعجزة في حد ذاتها، خصوصاً بعدما تحول الانزلاق نحو الكارثة والضياع اندفاعاً مجنوناً تعجز عن وقفه كل الضوابط والكوابح... فاللبنانيون ماضون في لعبة الدم عن وعي أو عن غير وعي، واذا ارادوا في لحظة ما التوقف عن هذا الانتحار المجنون، فان القوى الاقليمية والدولية المتصارعة فوق ارضهم، تتسارع الى دفعهم لاستئناف الغرق في مستنقع الحرب المجنونة.

وكان واضحاً تماماً، ان اللعبة الاقليمية باتت تهيمن الى درجةٍ، اصبح من المستحيل على اللبنانيين المنساقين في توجهاتها الدامية، ان يتوقفوا وان يتراجعوا، فهي تريد ان تستمر في لعبة الصراع حتى آخر قطرة دم لبنانية، وهم مندفعون في اللعبة المجنونة حتى آخر رمق فيهم.

كان الأمر في الوطن المنكوب في مستوى الجنون المطبق، وكان المطلوب للخروج من المحنة معجزة أو ما يساوي المعجزة... وجاء امين الجميل الى الحكم مجرداً من كل شيء:

لم يكن هناك دولة ولا مؤسسات، وحتى الايمان كان قد انهار في النفوس، وسيطر نوع من اليأس المرير في صدور الناس.

لكن الرئيس كان يتسلح بالايمان والصبر والعناد والاصرار على انقاذ الوطن والمواطن، وبنائهما من جديد على قواعد متينة وراسخة.

كانت مهمته مستحيلة، وكان يعرف هذا، وربما من هذه الزاوية بالذات اختار لعهده عنوان « مغامرة الانقاذ ».

نعم « مغامرة »، لكنها تبقى أقرب الى التنفيذ من المعجزة، خصوصاً بعد الاشراف على انهيار البلاد كلها.

جاء الى المسؤولية الاولى في البلاد حاملاً « مغامرة الانقاذ » سلاحاً، اعتبره وما زال، اقوى من اسلحة التدخلات الخارجية القاتلة في شؤون الوطن الجريح، وافعل من الاستسلام المأسوي اللبناني لهذه التدخلات.

« مغامرة الانقاذ »؟

وانقاذ ماذا؟

انقاذ كل شيء في لبنان، انقاذ البشر وانقاذ الحجر، انقاذ الوطن والمواطن،

الصيغة والكيان والحاضر والمستقبل، الهوية والصيرورة... ولم يكن هناك شيء لا يحتاج الى الانقاذ.

انقاذ اللبنانيين من انفسهم، قبل انقاذهم من اعدائهم وانقاذ لبنان من مشاكله وعقده، قبل انقاذه من المشاكل التي يرميه بها الاقرباء، والعقد التي يوجهها اليه الاعداء.

وتحولت «مغامرة الانقاذ»، تحدياً على مستوى الوطن والتاريخ والمصير اللبناني، وبات الأمر انقاذاً ولو بالاكراه، وهنا قمة التحدي وقمة الانجاز.

★ ★ ★

الان وعلى رغم كل شيء، تقف «مغامرة الانقاذ» في مطلع عامها الثالث، وقد اوقفت الانزلاق العام الى الكارثة والضياع وتمضي في تثبيت قواعد الوطن من جديد.

في المناسبة، هذه مجموعة من التحليلات والمناقشات الجادة والمقالات، التي تناولت موضوع «مغامرة الانقاذ» من وجوه عدة، ننشرها في كتاب يحمل اسمها علها تكون اسهاماً متواضعاً جداً في شرح ابعاد ذلك التحدي التاريخي الذي وضعه الشيخ امين

الجميل على نفسه والمخلصين، لاسترجاع وطن كان على حافة الضياع.

وهذه التحليلات والمقالات تظهر وفق تسلسل يخضع لتكامل المعنى، لا تسلسل تاريخ نشرها... وقد كان من الضروري والحيوي، ان نعيد نشر خطاب القسم الذي القاه الشيخ امين الجميل في ٢٣ ايلول ١٩٨٢، والذي حمل بحق عنوان «مغامرة الانقاذ».

... ويبقى لبنان
لبنان

لم يكن لبنان ضرورياً من قبل، كما هو اليوم، ولم تكن صيغة التعايش الحضاري بين اللبنانيين ملحة، بمقدار ما هي اليوم، ولم يكن اللبنانيون في حاجة الى فهم الأبعاد الحيوية والفريدة التي يمثلون في الاطار الوطني، أكثر مما هم في حاجة اليوم.

ليس لأن أسلم الطرق الى انقاذ لبنان هي طريق وعي جميع أبناء هذا البلد أهمية الصيغة التي يعتبرها رئيس الكتائب حضارة وايديولوجية في حد ذاتها، وليس لأن كل أبواب الحلول والتسويات تؤدي الى الفراغ ما لم يتفق اللبنانيون على الحل والتسوية، وإنما لأن الوضع في الوطن المتعب، هو تماماً كما صوره الرئيس أمين الجميل في حديثه الى شبكة التلفزيون الأميركية « سي.أن.أن.»، عندما قال: « ان التشنج الطائفي أو المذهبي، لا يمكن ان يؤدي الى نتيجة إيجابية على مستوى الوطن... وان ليس أمام الطوائف اللبنانية إلاّ خيار واحد هو خيار التعايش وتحقيق الوفاق ليتم بناء لبنان مستقل وحر ».

واذا كان رئيس الكتائب يعتبر الصيغة اللبنانية حضارة وايديولوجية في حد ذاتها، فإن رئيس الجمهورية يملك برنامجاً واضحاً ومحدداً يقوم على رؤية فريدة ترى في لبنان الوطن هذه الحضارة المميزة وتلك الايديولوجية الرائدة والقائمة في حد ذاتها.

ومن هذا المنطلق، يأتي التشديد الحاسم لرئيس الجمهورية في حديثه المذكور، على أهمية الكيان اللبناني عندما يقول « ... سنبقي لبنان على هويته أياً كانت أحلام الآخرين... وان الشعب اللبناني أظهر التزامه انقاذ وطنه وبناء لبنان سيد مستقل، ولهذا سيبقى لبنان لبنان،... ونحن نسعى لكي يكون لبنان مثلاً يحتذى في التعايش ».

ويوم يدرك اللبنانيون جميعاً، وقد آن لهم أن يدركوا في وهج الشقاء والآلام الكبرى التي أصابتهم، وتحت وطأة إرث الدم المخيف الذي خلف لهم ١١٠ آلاف قتيل... يوم يدركون جميعاً أية قيمة حضارية تمثل بطاقة الهوية التي يحملون، وأية إيديولوجية متقدمة ورائعة يمثل الوطن الذي يسكنون، يصبحون جميعاً رسل انقاذ وجنود انقاذ وخلاص.

واللبنانيون في حاجة الى هذا الوعي والإدراك، لا لإنقاذ وطنهم وأنفسهم ومستقبلهم فقط، بل لإنقاذ السمعة الكونية للعلاقة بين الأديان، والإرتقاء بالعلاقة بين الحضارات من مستوى الصراع المادي الدموي التعصبي الأعمى الى مستوى التنافس الايجابي الخلاَّق.

ولبنان التعايش حضارة مميزة لأنه يجب أن يكون خلاصة تجربة إنسانية راقية ومبدعة للاحتكاك بين المسيحية والاسلام، تجربة تبرز الجوانب الرائعة في الاسلام وفي المسيحية.

ولبنان التعايش ايديولوجية، لأن كل الايديولوجيات المتداولة التي تسعى الى الارتقاء بالانسان والحضارة، تظل في أهدافها الايجابية والمثالية، دون مستوى ايديولوجية التعايش

التي من شأنها أن تقدم الى البشرية صيغة مذهلة من ارتقاء الانسان وسمو الحضارة الإنسانية.

وعندما يتحدث رئيس الجمهورية عن « مغامرة الانقاذ »، إنما يتحدث لا عن إنقاذ الوطن بشراً وحجراً فقط، وإنما عن إنقاذ هذه المثل الحضارية والانسانية ذات القيمة الكونية المذهلة أيضاً.

إن أهم تجربة في التاريخ يمكن أن يقدمها المسيحي إلى المسيحية، كدين يدعو الى المحبة والتسامح وسعادة الإنسان هي في ذلك التعايش الخلاّق مع الإسلام والقيم الإسلامية... وأهم تجربة في التاريخ يمكن أن يقدمها المسلم الى الاسلام كدين يدعو الى التقوى وخوف الله والسماح، هي في ذلك التعايش الخلاّق مع المسيحية وقيمها.

ومن هذا المنظار المتعالي والسامي، يبدو اللبنانيون مسيحيين ومسلمين، محظوظين كأصحاب تجربة فريدة في التاريخ ومميزة في الأمم ومتقدمة في العلاقة بين الحضارات الكونية.

وإذا كانت أنهر من الدم سالت بين اللبنانيين في أعوام المحنة الماضية، فليس من حقهم، أن يجعلوا من الدم حدوداً بين الإسلام والمسيحية. ان ذلك شيء مخيف يساوي قمة التنكر للقيم المسيحية والقيم الاسلامية.

★ ★ ★

واذا كانت التطورات الإقليمية الساخنة في الأعوام الماضية أفرزت في الشرق الأوسط نوعاً من الارتداد الى العصبيات

الدينية الصاخبة، فليس من حق اللبنانيين أن يقعوا تحت التأثيرات السلبية الجامحة لهذه العصبيات، سواء كانت في مقام الفعل أو رد الفعل أو العدوى الوقائية...

إن من واجب اللبنانيين أن يكونوا نقطة التبريد الحيوية ومساحة الاحتكاك الصحي بين حضارتين كونيتين، تحاول افرازات وظواهر سياسية عابرة، أن تجرهما الى مناخات العداء والتعصّب والانغلاق.

ولبنان لم يكن ضرورياً من قبل كما هو اليوم، والتعايش الحضاري بين اللبنانيين لم يكن ملحاً كما هو اليوم، لا لإنقاذ الوطن فحسب، وإنما لانقاذ السمعة الحضارية الكونية للعلاقة بين المسيحية والاسلام أيضاً.

وعند هذا الحد وفي هذا المستوى المتقدم ومن أجل هذه القيم النبيلة، يأتي صراخ رئيس الجمهورية: « ... سنبقي لبنان على هويته أياً كانت أحلام الآخرين... وسوف يبقى لبنان لبنان ».

(٢١ آب ١٩٨٤)

تحقيق العجب العجاب

انه السؤال الذي يبدو تقليدياً. لكنه الأعمق والأهم في هذه المرحلة الدقيقة من عمر الوطن والمنطقة. انه الهاجس اليومي الذي يطرحه رئيس الكتائب في التداول منذ سنوات، وهو الهاجس اليومي الذي يعمل رئيس الجمهورية بوحيه وبهدف احيائه وارسائه فوق قواعد ثابتة وصلبة ونهائية، ليقوم الوطن المميز من تحت الانقاض، بعد عشر سنوات من الانهيار.

في كثير من الهدوء والتعمق، نجد أنه السؤال الأكثر الحاحاً في هذه المرحلة بالذات: «أي لبنان تريدون؟ هل تريدون وطن التعايش الذي اتفقنا عليه أو لا، وطن الصيغة أو لا»؟

ولا تنبع أهمية السؤال ودقته من ذلك الإرث المخيف الذي خلّفته الحرب الطويلة في المدن والأحياء، وفي القلوب والنفوس، فهناك عوامل إقليمية جذرية عاصفة تضاف الى إرث الحرب اللبنانية، لتجعل العقدة عقداً، والصعوبة صعوبات في وجه الحلول ومساعي الانقاذ، لا بل في وجه «مغامرة الانقاذ»، وفي المناسبة كان أمين الجميل يدرك سلفاً هذه الأبعاد المحلية والإقليمية، وتلك العقد الكبرى، ولهذا السبب اختار منذ البداية لعملية الانقاذ التي جاء من اجلها الى السلطة، صفة «المغامرة». وأي مغامرة، انها لتبدو في حجم الوطن المميز، لا بل في حجم المنطقة بالذات.

واذا كان رئيس الكتائب، وهو ما انقطع يوماً عن التبشير بلبنان الصيغة، لبنان التعايش الحضاري بين المسيحية والاسلام، بدا في الأوقات التي طغى فيها صياح دم الأبرياء من المسيحيين على كل منطق وعقل، غامضاً عند الكثيرين ومحيراً للكثيرين، فإن رئيس الجمهورية الذي جاء لإرساء ناموس الوطن فوق مفهوم التعايش الحضاري والذي جعل قاموس عمله اليومي رفع عماد البيت اللبناني المهدم، بدا في تلك الأوقات غامضاً ومحيراً عند الكثيرين.

الآن، والعواطف الى الهدوء، والانفعالات الى الركون، أصبح في استطاعة اللبنانيين جميعاً أو هكذا يفترض، ان يدركوا تماماً أهمية ذلك الإصرار اليومي المتواصل لرئيس الكتائب، على التبشير بالتعايش والصيغة ولبنان الفرادة الحضارية، وأهمية ذلك الجهد اليومي والإصرار المتواصل وقد بلغ مبلغ العناد الفذ عند رئيس الجمهورية لاحياء التعايش، وانعاش الصيغة، وتضميد جروح الوطن، وتحقيق المعنى الوجداني والسياسي العميق لمغامرة الانقاذ.

وبعد عشر سنوات من المحنة، وفي أعقاب ذلك الزلزال المدمّر والمخيف الذي ضرب انحاء لبنان، وشمل أحياء المسيحيين وبيوتهم، وأحياء المسلمين وبيوتهم، وبعد عشرات الالآف من القتلى ومئات الالآف من الجرحى، وعند كل قبر مرارة وحقد، وعند كل جرح أسى وثأر... وفي وسط قناعة عند الجميع نسجتها خيوط المحنة المؤامرة في كل الأذهان، ووضعت دماء المسلمين في أعناق المسيحيين، ودماء المسيحيين في أعناق المسلمين.

في وسط كل هذا الارث المخيف من الحقد والكره والعدائية وحب الانتقام، وفي أعقاب هذا الطوفان الأعمى من الجنون والتسرع والدموية، جاء من يقول للجميع هنا وهناك، انسوا جروحكم جميعاً، ليشفى جرح لبنان، واتركوا الحقد والكره والعدائية وحب الانتقام لتشاركوا في انقاذ الوطن، وتعالوا نقيم عهد لبنان الجديد فوق ميثاق التعايش الحضاري بين المسيحيين والمسلمين.

واستهول الناس هنا واستهول الناس هناك، ربما لأن جروح الناس هنا وهناك كانت في حجم الوطن، ربما لأن الدماء الفائرة هنا على حساب المنطق والهدوء، لم يقابلها هناك على امتداد عشر سنوات غير الدماء الفائرة على حساب المنطق والهدوء.

وكما ضيعنا هنا مقاييس الوطن ومواصفاته، وبتنا نريد لبنان بطاقة عزاء عن جروحنا وآلامنا وشهدائنا، ضيعوا هناك مقاييس لبنان ومواصفاته وباتوا يريدون لبنان بطاقة عزاء عن جروحهم وآلامهم وشهدائهم، ولبنان في الاساس على قياس الجميع، لا على قياسنا أو قياسهم.

ولم يكن ليجمع بيننا وبين شركائنا في الوطن، بعد كل هذا الطلاق الدموي المخيف، الا العجب العجاب، واذا كان رئيس الكتائب ما انفك يبشر «بالعجب» فإن رئيس الجمهورية ما انقطع عن تحقيق هذا «العجب العجاب».

وفي اعقاب كل الكوارث والمآسي التي حلت بالجميع، لم يعد سهلاً على الاطلاق تظهير صورة الوطن اللبناني وفق أبعاد

متساوية من منظار الأشرفية ومنظار البسطا، أو من منظار جونية ومنظار الضاحية الجنوبية...

ولكن ليبقى لبنان وليبقى الوطن، يجب أن تكون أبعاد الصورة متساوية تماماً في كل منظار ومن كل زاوية، وهذا هو التحدي، وتلك هي «مغامرة الانقاذ».

(٧ آب ١٩٨٤)

الطائفة الثامنة عشرة

... وبعد السنوات الطويلة التي فاضت بالدم والدمار وضجت بالحقد والضغائن، كان الوطن أصبح على هامش المواطن، كان لبنان حاضراً في البيانات والخطب والتصريحات، لكنه كان غائباً في بطاقات الهوية والاحياء المقفلة ووراء أكياس الرمل.

كان الوطن ملغياً، وقد حلت محله الطوائف، كان موزعاً على ١٧ طائفة، وكل طائفة نادت به «منقذة». وكل طائفة قرعت طبوله «حامية»، لكنها كانت تستأثر من حيث تدري أو لا تدري بجزء من جثته المقطعة.

في ٢٣ أيلول من العام ١٩٨٢، ومنذ اللحظة الأولى لتسلمه السلطة، وفي جلسة القسم الدستوري التي حملت عنوان «مغامرة الانقاذ»، جاء أمين الجميل ثائراً إنقلابياً على ذلك الواقع التقسيمي الذي جعل الوطن في حدود الطائفة، والطائفة في حدود التنظيم، والتنظيم في الجماعة، والجماعة في حدود الفرد، والفرد في حدود المسدس.

منذ اللحظة الأولى، خاطب العقل وقرع أبواب المنطق: «... علينا أن نستحق لبنان لكي نستعيده، وعلينا أن نرجع اليه لكي نسترجعه... كفانا غربة واغتراباً، كفانا هجرة وتهجيراً، فاليوم موعدنا مع العودة الجماعية الى لبنان»...

وإذا كانت ظروف الصراع الإقليمي المستعر في لبنان،

عارضت في شكل حاد ودموي استرجاع اللبنانيين لبنان، وحالت دون وقف الغربة والاغتراب بين أبناء الوطن الواحد، فإن الظروف النفسية الانغلاقية التي أفرزتها سنوات الحرب الدموية هنا وهناك، منعت اللبنانيين من أن يستحقوا لبنان لكي يستعيدوه.

في اختصار، كان العقل معطلاً وقد حلّت محله العاطفة المتأججة فوق أتون الطائفة الخائفة المذعورة، وكل الطوائف كانت في الخوف والذعر، وكانت أبواب المنطق موصدة، وقد سدتها الحواجز وخطوط التماس وأكياس الرمل والرعب من الخطف والتنكيل.

كان لبنان مفروماً وموزعاً ١٧ حصة، كل طائفة تمسك بحصة، وجاءت «مغامرة الانقاذ» لا لتواجه تيارات الصراعات الخارجية العاصفة والممزقة التي أوصلت الوطن الى حدود الطوائف فحسب، وانما لتنتزع الوطن من قبضة الطوائف أيضاً.

كان واضحاً تماماً وما زال حتى الساعة، ان كل خطوة يخطوها أمين الجميل في طريق إنقاذ لبنان، ستبدو في ظل الوضع الانقسامي العميق على حساب الطوائف كلها.

واذا كانت دويلات الطوائف قامت على حساب الوطن الواحد، فقيامة دولة الوطن لن تكون الا على حساب كل الطوائف. وفي غياب العقل وتعطل المنطق، وفي ظل الانغلاقية الطائفية التي اسدلتها الحرب على النفوس، بدا أمين الجميل صاحب طائفة غريبة، تصل فجأة لتسلب الطوائف الـ ١٧

مغانمها وأسلابها، أو لتعريها من إحساس بالاطمئنان يقوم على زيف من الوهم فرضته الانغلاقية وإفرازات الحرب.

ولأنه جاء منقذاً للوطن الواحد، بدا أمين الجميل مضراً للأوطان الطائفية الـ ١٧، ولأنه جاء يعيد الوطن الى حدوده اهتزت حدود معظم الطوائف... انه صاحب الطائفة الـ ١٨، طائفة لبنان التي تقوم على حساب الطوائف اللبنانية.

منذ اللحظة الأولى، كان ضد الوضع المرضي التقسيمي القائم، وجاء لينقض ويبني لا ليساير ويدير، وفي غياب العقل والمنطق بدا ضد الجميع، فقط لأنه مع لبنان عملياً وتوحيدياً، ولبنان كانت غيبته الطوائف، فجاء الرئيس يغيّب الطوائف ليعيد الوطن.

كان يعرف أنها مغامرة كبرى، بعد كل هذه السنوات الدموية، وكان فدائياً وحيداً ربما، ولكن ليس مستوحداً وهو على يقين مسبق بأن طائفة لبنان ستقوم محل الطوائف اللبنانية... وقبل أن يأتي الى السلطة كرسه رئيس الكتائب فدائياً عندما قال: « يجب أن يكون الإنسان فدائياً لكي يتحمل مسؤوليات رئيس الجمهورية في هذه الظروف ».

★ ★ ★

« ... إنني أتسلم الرئاسة والوطن في حال من العناء والعياء، وحدته حقيقة في الضمائر، وواقعه تمزق على الأرض وتشتت، تتجاذبه الأطماع وتتقاذفه الأهواء، تعصف به الأحقاد وتقوم الحواجز بين أبنائه... لكنني أعرف تماماً مطامح الشعب

وحاجة الوطن، أول ما يحتاج اليه الوطن وحدة أبنائه، ووقوفهم سداً منيعاً في وجه كل ما يتهددهم من أخطار، فالوحدة الوطنية أساس الوطن والأولوية للبنان»...

الأولوية للبنان؟

الأولوية للوطن الذي يتعدى نطاق الطوائف الـ ١٧، والذي تذوب في دائرته الواسعة دوائر الطوائف الضيقة، التي كرستها الحرب وجعلتها تبدو، على رغم كل البيانات والخطب الحدود «الصحية والمنطقية» للوجود، وأي وجود.

والآن تبدو دائرة الوطن في اتساع ودوائر الطوائف الى تراجع، الى أن نصبح جميعاً أبناء الطائفة الـ ١٨.

(٨ آب ١٩٨٤)

الرئيس المهندس
لا المقاول

...وكان لبنان ١٧ دويلة طائفية، وجاء أمين الجميل الى الحكم« بدولة الوطن »، دولة الجميع، الدولة الثامنة عشرة، التي تتسع للجميع وتظلل الجميع، وتذوّب في إطارها الوطني كل حدود الطوائف، وكل ذلك الفطر من القناعات والهواجس السياسية والطائفية التي أفرزتها الحرب الدامية، وغذتها الرياح الإقليمية والدولية العاصفة في الدولة المقسمة والشعب المنقسم المنكوب.

جاء مهندساً يدمّر البشاعة التي أصبحت صورة للبنان، ويشيد الوطن الجديد وفق مفاهيم متقدمة، وفوق قواعد ثابتة وراسخة، وعلى أسس الديمقراطية والحرية والمساواة.

وها هو يقول في السابع من كانون الثاني من السنة الجارية في استقبال أعضاء السلك الدبلوماسي: « ... إن تلاحم الطوائف والفئات والجماعات في البوتقة الوطنية الجامعة، من شأنه أن ينتقل بصيغة التعايش من التجاور الى التكامل، لتحقيق الذات الوطنية الواحدة، المنصهرة في وطن نهائي منيع الاستقرار، دائم الاستمرار على مدى الأجيال اللاحقة، فليس من حقنا ولا من حق أي طائفة أو جماعة أو فئة أن تورث الجيل الطالع هواجس القلق ورواسب السنوات التسع ».

لكن العقول الراسخة تحت إرث الحرب وإفرازاتها المخيفة ومنطق الانغلاقية الطائفية الضيقة، لم تكن مهيأة لاستيعاب

المغزى العميق لتلك الرؤية الوطنية التي من شأنها دفع التعايش في أطر حضارية متقدمة، تجعل من لبنان صيغة فريدة في الأنظمة السياسية، وفي الدول ذات المزايا الكونية.

★ ★ ★

جاء أمين الجميل إلى الحكم مهندساً وثائراً وفدائياً وصاحب رؤية رائدة، يطرح منطقاً واضحاً يصب في إطار تجاوز التراكمات والإفرازات التي خلّفتها الحرب في كل مدينة، وفي كل شارع ومنعطف، وفي زوايا كل بيت، وفي حنايا كل صدر وفي تلافيف كل رأس...

جاء يدعو اللبنانيين الى تقديم الوطن على الطائفة، والطائفة على الجماعة، والجماعة على الفرد، والفرد الحي على الفرد الجثة، وكان لبنان مصنعاً مخيفاً لانتاج الجثث وإخراج الجرحى. كان مصنعاً للآلام ومزرعة للشقاء ونهراً للدماء المسفوحة، لأنه كان ١٧ دويلة طائفية تحركها أصابع الصراعات الخارجية فوق رقعة الاقتتال والتناحر، وقد بدت في وقت من الأوقات دوامة أسطورية، تدفع بشعب كامل من المغشوشين والمهووسين والمغرر بهم، إلى الانتحار الجماعي الكامل.

وكان الرئيس الجميل يتألم وهو يعاني يومياً ومن موقع المسؤولية التاريخية معالم ذلك الاندفاع الأعمى عند اللبنانيين الى الانتحار الجماعي، وقال للبنانيين عبر كلمته في أعضاء السلك الدبلوماسي (٧-١-٨٤): « ... اننا ننظر الى الوفاق الوطني مبدأ حتمياً لاستمرار لبنان الوطن بحكم ارتكازه الى قاعدة أساسية، هي قاعدة التعايش بين الجماعات والطوائف والفئات،

في معزل بالطبع عن أي تمايز طائفي من أي جهة أتى، وفي أي شكل كان»...

★ ★ ★

لكن الواقع التقسيمي المرضي الانغلاقي لم يكن متجاوباً، على الأقل في المستويات صاحبة القرار والشورى في كل «دويلة» من دويلات الطوائف، ربما لأن هذه المستويات كانت ولا تزال متضررة شخصياً من ذوبان الطائفة في الوطن، اكثر من تضرر الطائفة نفسها، التي لن تكون متضرّرة على الاطلاق.

وهكذا، إذا كان أمين الجميل جاء مهندساً للتعمير يعمل وفق خطة تحمل عنوان «مغامرة الانقاذ» فإن «زعماء» دويلات الطوائف أرادوه مقاولاً، ينفذ من موقع السلطة والقسم الدستوري، انشاء لبنان وفق «دفاتر الشروط» التي وضعوها، بما يتناسب مع مصالحهم ومع المنطق الانغلاقي الطائفي، واستطراداً بما يتناسب مع ذلك الانزلاق المخيف نحو هاوية الانتحار الجماعي الذي كان يهدد الطوائف الـ ١٧، والمصير اللبناني بالطبع.

• البعض أراد أمين الجميل مقاولاً يبني لبنان الجديد وفق «دفتر الشروط» الماروني، ولو كانت تلك الشروط لا تتماشى مع المصلحة الحيوية والكيانية للطائفة المارونية.

• البعض أراد أمين الجميل مقاولاً يبني الوطن وفق «دفتر الشروط» السني، ولو كان ضاراً بالمصلحة الحيوية والكيانية للطائفة السنيّة.

• والبعض أراده مقاولاً يلتـزم « دفتر الشروط » الدرزي أو الشيعي، ولو كان في تلك الشروط مساً بالطائفة الشيعية وأذى حيوياً لوجودها ومصيرها.

• والبعض أراده مقاولاً يلتـزم « دفتر الشروط » الدرزي أو الاورثوذكسي أو الكاثوليكي أو الكردي، فكل طائفة كان لها دفتر شروطها...

★ ★ ★

لكنه مهندس له « دفتر شروطه » الخاص وبنوده الخاصة، التي تتجاوز كل الدفاتر وكل الشروط لتقيم دفتر الوطن وتؤمن شروط انقاذ لبنان وقيامته وخلاصه.

ولأن لبنـان الوطـن لا يقـوم الاّ على حسـاب دويلات الطوائف اللبنانية، كان مطلوباً إغلاق كل الدفاتر وطي كل الشروط، ليبقى دفتر شروط الطائفة الثامنة عشرة...

وكان أمين الجميل يدرك تماماً هذه الأبعاد، وقال لوفد نقابة الصحافة والمحرّرين عشية ذهابه الى مؤتمر لوزان: « إن الجميع يريدون لبنان وفق مقاسهم الخاص، الذي يتناسب مع مصالحهم، لكن الوطـن اللبنـاني يجب أن يكـون على مقـاس الجميع، لأنه وطن الجميع ».

ولأن « دفاتر الشروط » الطائفيـة تنطـوي على استمـرار الصراع والاندفاع الى هاويـة الانتحـار الوطني، طـوى أمين الجميل كل هذه الدفاتر، وفتح دفتر الوطن الذي بدأ يقوم من بين الأموات.

(٩ آب ١٩٨٤)

وَعْدُ الحَيَاة

وصناعة الموت ...

... وطوى أمين الجميل « دفاتر الشروط » الطائفية التي كانت تطالبه بإعادة بناء لبنان، على قياس كل طائفة من طوائفه الـ ١٧، وفتح « دفتر شروطه » المستمد من روح « مغامرة الانقاذ » وما تنطوي عليه من رؤية ذات أبعاد وطنية شاملة، ترى في لبنان وطن التميز والفرادة الحضارية ذات القيمة الكونية الشاملة.

وشرح رؤيته لمستقبل لبنان الوطن، وهو يخاطب الجالية اللبنانية في ديترويت (٢٤ تموز ١٩٨٣)، حين وصف لبنان بأنه وطن، كل فرد فيه ينال شرف الانتماء اليه: « ... فلنتناس الخلافات ولنطرد الخوف من قلوبنا ولنقف متحدين متكاتفين، ونعلن انبثاق فجر يوم جديد، فلنبنِ وطناً يقاس المرء فيه بما يحمل في قلبه من محبة للبنان، ولنبنِ وطناً كل فرد فيه، ينال شرف الانتماء اليه، ليس بفضل مصادفة الولادة، بل بفضل ما يقدمه الى وطنه من خدمات ويسهم به من أجل مواطنيه »...

★ ★ ★

كان الناس المنهكون بأوزار الحرب وأثقالها والغارقون في سواد القلب وسواد الزي يسمعون ويفهمون، فيشتعل الأمل في صدورهم مثل شمعة تلوح في آخر النفق المظلم، لكن أصحاب القرار والشورى في الدويلات الطائفية الـ ١٧، لم يسمعوا ولم

يفهموا، واذا سمعوا وحاولوا الفهم لعبت بهم أصابع الصراع الخارجي على أرض الوطن، فإذا بالأحداث المؤسفة والمتفجرة تحاول إطفاء حتى الشموع التي اضيئت في صدور الناس التواقين الى الإنقاذ والخلاص.

ولا بد من التوقف، في كثير من الدقة والعناية، عند هذه النقطة بالذات، فالحرب في طبيعتها تشكل حالاً شاذة أو استثنائية في حياة الشعوب والأوطان، وهي حال تضج بالآلام والشقاء والمآسي، ومن الطبيعي أن تكون الشعوب في كل زمان ومكان تواقة الى الخروج من الحروب وبشاعاتها.

لكن طول الحرب في لبنان واستمرارها كل هذه السنوات، غيَّر من طبيعتها وانعكاساتها عند الكثيرين من أبناء « دويلات الطوائف » الـ ١٧، فأصبحت بالنسبة الى عدد كبير من اللبنانيين تشكل « حالاً وظيفية » لا شاذة، ووضعاً « انتاجياً استقرارياً » لا شاذاً.

في كلام أوضح، كانت تلك الحرب المشؤومة اصبحت وظيفة يمارسها الكثيرون، وعملاً يزاوله الكثيرون، ومورد حياة ورزق يؤمه الكثيرون... والإنتاجية الوظيفية التي امنتها الحرب للكثيرين جعلتهم يبرمجون حياتهم على أساس ان الحرب شيء مستمر ويجب أن يستمر لكي تستمر الوظيفة ويستمر مورد الرزق، وحتى الدورة الإقتصادية في الأعوام الماضية، كانت تقوم على أساس ما تحدثه الحرب من تحريك في سوق العرض والطلب، فأقساط الاولاد يجب ان تدفع، وقد لا يتأمن

دفعها في غياب الحرب، وكذلك الأكل والشرب وإيجار المنزل، أو بقاء المنزل المصادر مثلاً.

★ ★ ★

لم يكن لبنان مقسماً ١٧ دويلة طائفية فحسب، وإنما كان اللبنانيون أيضاً يعيشون حالاً من الشذوذ المازوشي الأعمى الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمم والشعوب، كانوا في بساطة، مثل القط الذي يلحس المبرد متلذذاً بدمه حتى حدوث الموت.

وكانت الحرب وهي صناعة الموت، وسيلة استمرار الحياة للذين يندفعون بدورهم إلى الموت من أجل حياة آخرين يتبعونهم على طريق الموت.

وكان الوطن مأساة دموية أسطورية لا تصدق، وكان المواطنون طوفاناً من البشر المتدافعين من ١٧ دويلة مغلقة نحو منزلق الانتحار الجماعي الأعمى. لم يبق بين اللبنانيين قاسم واحد مشترك، بلى، كان الموت والقتل والمرارة والتعاسات، القاسم المشترك الوحيد، بين أبناء الوطن الواحد.

ومن عمق هذه الصورة المخيفة، وفي ضوء أبعادها المرعبة ونتائجها السود المذهلة، حمل أمين الجميل صليبه الذي يسميه « مغامرة الانقاذ » وجاء يوقف الجنون، ويصيح بأبناء الوطن عبر حفل الإفطار الذي أقامه في بعبدا في ١٩ حزيران ١٩٨٣ : « في وسط الخراب والدمار اللذين حلاّ بنا، وفي وجه النار والأخطار التي تنتشر من حولنا، ما أحوجنا اليوم إلى

ذلك المعين الذي لا ينضب من المعاني التي غلبت الدين على الدنيا والأوطان على الأوثان».

و« لأن الحروب التي شهدها لبنان قد خلفت في لبنان، جروحاً عميقة تنزف كل يوم وتهدد بأن تصبح حدوداً من دم تفرق بين الأخ وأخيه...»، ولأن قتال دويلات الطوائف كان يعلو على كل منطق، ولأن الجنون الانتحاري طغى على كل عقل، استمر الإنجرار طوعاً أو قسراً الى الكارثة، واستمر القتال وفيض نهر الدم. كانت الدويلات الـ ١٧، تتقاتل بشعارات لبنان، لكنها عملياً كانت تتشارك من حيث تدري أو لا تدري في قتل ما تبقى من لبنان الوطن.

وكان الوطن أصبح أمانة في يد أمين الجميل، فبات ينظر اليه وهو يتمزق بين كفيه وينزف بين أصابعه ويتلاشى في راحتيه، وتألم الرجل بمقدار الآم الوطن، وتعذب بمقدار عذاباته وأكثر، وما وقف لحظة عن الاستماتة في تنفيذ « المهمة المستعصية » التي جاء من أجلها، « مغامرة الانقاذ ».

وها هو يصرخ مفتتحاً مؤتمر الحوار الوطني في جنيف في ٣١ تشرين الأول ١٩٨٣: « ... ان وطننا يحتضر، انه يئن تحت هول الانقاض ووطأة الأحقاد، انه يطالبنا بأن ننفض عن وجهه غبار الموت والدمار ونجلو عن شعبه ستار ليل لا ينتهي من الظلم والظلام ».

« لقد طال ليل لبنان، وتواصلت فيه المحنة والمؤامرة، تنقلت بين كل المناطق، ضربت سائر الطوائف، أصابت كل العائلات والتيارات، توزعت جميعها علينا، علينا جميعا،

تضحيات وضحايا، فأصابت منا أقل ما أصابت الأحجار وجني الأعمار، وسلبت وطننا مسحة السعادة، وخطفت من كل منا أخاً، ولداً، حبيباً أو قريباً، رفيقاً أو صديقاً. تساوينا في الجور والقهر والتهجير والفقر، فعسى أن نتساوى مستقبلاً في العدل والأمن والراحة واليسر».

ولم يكن مسموحاً للبنانيين أن يسمعوا، أولاً بسبب الصراعات الخارجية التي كانت تعصف بهم في الداخل، وثانياً بسبب تراكمات الحرب وإفرازاتها المأسوية، وعقدها وما وضعته من القيود المادية والمعنوية والعاطفية والطائفية في السواعد والقلوب.

ولم يكن مسموحاً للبنان أن يخرج من المأساة وأن يتخلص من الكارثة، وأن يعود وطناً واحداً موحداً، يقوم مقام «دويلات الطوائف» الـ ١٧.

★ ★ ★

وفي مقابل كل هذا، لم يكن عهد «مغامرة الانقاذ» يسمح بالسكوت عن استمرار المأساة، أو بالاستقالة من مواجهتها والتحول الى إدارتها وحصر أخطارها. لم يكن مسموحاً لأمين الجميل بأقل من اختراع معجزة أو محاولة اختراع المعجزة التي توقف احتضار الوطن الذي لا تنقذه سوى المعجزات.

كان مطلوباً منه انقاذ لبنان من اللبنانيين ومن غير اللبنانيين، من مجانين الداخل واعداء الخارج، وكان مطلوباً منه انقاذ اللبنانيين من أنفسهم أولاً ومن اعدائهم ثانياً... وكانت

عدته الإيمان والإصرار والعناد وجيشاً وطنياً سرقه سرقة من دويلات الطوائف، وكانت عدة الدويلات الخطف والقتل والتفجير وإطلاق عقيرة المدافع والراجمات، كانت حجته الوعد بالحياة وكانت حجتها صناعة الموت.

ولم يبق له غير الإنقاذ بالإكراه.

(١٠ آب ١٩٨٤)

خلّص نفسَك
وخلّصنا ...

... وكان على أمين الجميّل أن ينقذ لبنان بالإكراه، مرة من براثن الصراعات الخارجية التي مزقت الوطن ١٧ دويلة طائفية، ومرة من اللبنانيين أنفسهم وقد انغمسوا في صراع طويل، تحول انتحاراً جماعياً يشبه الجنون الكامل.

لم يكن يملك في مواجهة هذا التحدي المخيف غير الإيمان والأصرار والعناد وجيشاً وطنياً سرقه سرقة من دويلات الطوائف التي كانت تملك في المقابل عدّة القتل والخطف والتفجير وإطلاق المدافع والراجمات وإحراق ما تبقّى من البلاد والعباد.

كانت لدويلات الطوائف جيوشها وأسلحتها وموارد هذه الأسلحة الانتحارية التي لا تنضب. وكان على دولة الوطن التي جاء أمين الجميّل يقيمها من جديد، أن تصبح أقوى من كل الدويلات، لكي تتمكن من تنفيذ الخيار الوحيد: الإنقاذ بالإكراه.

لكن الدولة التي تسلمها يوم تسلم السلطة، كانت أثراً بعد عين، أو أنها كانت الانهيار الكامل والإفلاس الكامل والضعف الذي لا تحدّه حدود... وفي اختصار شديد كانت غير قادرة على فرض الحلّ الذي يناسب الوطن إذا لم يكن يناسب الطوائف، وما يناسب الوطن الواحد لا يناسب الدويلات المنقسمة والمتصارعة.

وإذا كان الأكثر إيجابية في اللبنانيين هو الذي جلس يتفرج على أمين الجميّل، وفق المنطق الفريسي الذي يقول: إن كنت ابن الله حقاً، خلّص نفسك وخلّصنا، فإن السلبيين صلبوا الرئيس على صليب مغامرة الإنقاذ.

وجاء وقت، كنا جميعاً من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، ومن غرب الوطن إلى شرقه، أولئك الفريسيين نقامر على ثياب لبنان، ونضع أكاليل من الشوك فوق رأس الشرعية، ونفرز الرماح في خصر الدولة، في ظهرها وصدرها.

وإذا كان لكل طائفة حربها الضروس على الطائفة الأخرى تغذّيها رياح الخارج وأصابع الصراعات الإقليمية والدولية، فقد كان لكل الطوائف حربها الضروس على الطائفة الثامنة عشرة، طائفة الوطن الواحد الموحد التي جاء أمين الجميّل يقيمها على حساب دويلات الإنقسام والإندثار.

وكان لحروب الطوائف ضد الرئيس شعاراتها واتهاماتها وتجنياتها ومظالمها المخيفة، ولم تكن دولة الوطن في الموقع الذي يسمح لها بالتصدّي لكل هذا الافتراء المجنون، وإلاّ اتهمت بالانحياز وما شابه.

ومن خلال إصراره على الإنقاذ، استمر في مواجهة المحنة الدامية منبّهاً وداعياً إلى عودة العقل ومحذّراً من الانهيار المخيف: « ...أناشد الجميع وقف هذا التسابق إلى تقاسم البلاد، كما لو أنها تركة ضائعة، فلن يخرج أحد من هذا السباق المجنون رابحاً أو منتصراً، وأملي في أن تستيقظ الضمائر

قبل اكتمال الكارثة » (١٢/١٠/١٩٨٣).

« ... إن كل همّي وهاجسي أن أكون فوق الأحزاب وفوق الطوائف وأن أعمل لمصلحة لبنان، ومصلحة كل اللبنانيين على السواء، لأن أي نظرة ضيّقة في التعاطي مع الشأن الوطني لا تعني إلاّ الفشل للبنان».

« ... إن بعض القيادات باتت أسيرة مواقعها والتشنجات المحيطة بها... ولأنها غير قادرة على مواجهة هذه التشنجات، الكل يرمي الثقل والعبء بل واللوم على الدولة لأنه يعتبر أن الدولة « حيطها واطي »... (من لقائه مع وفد الصحافة في ٦/١/١٩٨٤).

★ ★ ★

وكان لبنان مثل خريطة ممزّقة يمسك الاسرائيلي بطرفها الجنوبي ويمسك السوري بطرفها الشمالي ويتجاذبانها وهي تكاد أن تنهار وتندثر، وكان واضحاً عند أصحاب العقل أن مشاركة اللبنانيين في عملية التجاذب ستقضي على ما تبقى من لبنان... فلا الزواج بإسرائيل يلغي العصمة السورية، ولا عقد القران مع دمشق ينهي الوصاية الاسرائيلية في الجنوب، ولا الغرام بأميركا قادر وحده على إبعاد العشّاق الاسرائيليين والسوريين... وكان على اللبنانيين أن يعوا ويوقفوا عملية الانتحار والتمزّق.

ولعل الوجه الأكثر إيلاماً في الواقع اللبناني، أن سنوات المؤامرة المحنة أنهكت في اللبنانيين الروح بعدما أرهقت الجسد

أو مزّقته وقتلته، وعندما تصبح الأوطان بلا روح فلا يعادل سهولة موتها واندثارها إلاّ صعوبة إنقاذها وحياتها.

واستمر أمين الجميّل في حربه على هذا الواقع المؤلم الذي يمسك بخناق الوطن، وشن حربه على كل جبهات الداخل والخارج، وبكل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية، لتحويل عملية الإنقاذ من معجزة إلى معجزة، ومن مغامرة إلى حقيقة، ومن حقيقة إلى وطن قائم لجميع أبنائه: « ... لبنان يحتضر، ونحن اليوم أمام مرحلة مصيرية ولا ينقذنا إلاّ أنفسنا، إلاّ تضامننا ووحدتنا... ولا يمكن لفريق أن يلغي الفريق الآخر أو أن ينتصر عليه. أي انتصار لفريق على آخر هو انتصار على لبنان، فلنطرح شعار « انتصار لبنان » وهذا لا يكون إلاّ من خلال وحدة اللبنانيين » (من لقائه مع الصحافة اللبنانية ١٨/٢/١٩٨٤).

« انتصار لبنان »؟

إنه استحقاق يبدو واضحاً يوماً بعد يوم، وعلى رغم كل ما حدث ويحدث، يتكرّس شيء عميق وثابت، هو أن الوطن عائد مهما كلّف الأمر، وان « مغامرة الإنقاذ » لم تكن حلماً، وإنما حقيقة تثبت ذاتها تدريجاً.

(١١ آب ١٩٨٤)

لبنان يكون
مرّة أخرى

لن يخرج لبنان من النفق المظلم الذي يتخبط فيه منذ عشر سنوات، ما لم يتحوّل الإنقاذ من مغامرة يدعونا إليها الشيخ أمين الجميّل إلى فعل إيمان في أعماق كل لبناني، يجعله رسولاً في حجم القضيّة الكبرى التي يمثّلها وطن التعايش على المستويين الحضاري والكوني.

هناك تحديات كبرى تواجه الجميع واستحقاقات ضخمة مفروضة على الجميع، وحتى الآن يبدو اللبنانيون هنا وهناك وفي كل مكان مقصّرين في مواجهة هذه التحديات والاستحقاقات، في وقت تقع أحمال المصير وأوزار الإنقاذ على كاهل الشرعية الوطنية التي يفترض أن يلتف الوطن من حولها ويتحوّل المواطنون جنوداً في شدّ إزرها وحمل راياتها.

صحيح أن الإيمان كبير وأن لبنان الوطن الموحّد هو غاية ورجاء في عقول الكثيرين الكثيرين في دويلات الطوائف الـ ١٧، لكن الصلاة وحدها لا تكفي لإنقاذ الأوطان، وحرق البخور في صمت لا يكفي لطرد الشياطين والأرواح الشرّيرة التي تعبث بلبنان منذ أعوام، ولا يقوم بدور وقف المؤامرة المدبّرة على كل اللبنانيين وعلى كل لبنان.

المؤامرة؟

« ...إن المؤامرة المدبّرة على لبنان التي بدأ تنفيذها منذ ١٣ نيسان ١٩٧٥ تهدف إلى قتل الفعل والبناء في الإنسان

اللبناني. إن هذه المؤامرة تريد أن تجعل من الإنسان، الإنسان العظيم، إنساناً عادياً...».

«هذه هي المؤامرة التي نفّذت بالخلاف الطائفي والمظالم والمظالم المضادة الموجودة في البلد منذ ما قبل الاستقلال، وقد نجحت في فتح هوّة بين اللبنانيين سرعان ما اتّسعت واتسعت بحيث أوصلتنا إلى ما نحن عليه اليوم. ولكي نعطّل المؤامرة التي تهدف إلى النيل منا باعتبارنا شعباً ذكياً ونشيطاً وديناميكياً يجب ألاّ نقع في شباكها. وما دمنا وقعنا جميعاً في شباكها لا يزال أمامنا متسع من الوقت لنتوقف على الأقل عن السقوط إلى الأدنى. وهذا لا يتم إلاّ بإسكات لغة الرصاص أولاً ومن ثم بالالتفاف حول الوطن لحمايته بالعمل والمحبّة والتسامح...» (من حديث أمين الجميّل إلى مجلة المستقبل ـ ٣/٢٢ ١٩٨٤).

وعملية السقوط إلى الأدنى يبدو أنها توقفت، وعملية الالتفاف حول الشرعية تأخذ شكلاً تصاعدياً واضحاً، وعملية تجييش «مغامرة الإنقاذ» للبنانيين تتسع أكثر فأكثر، ومن الواضح تماماً أن «دويلات الطوائف» كلها تعبت من «آلية القتل والاقتتال».

نعم، لقد تعب اللبنانيون من أن يكونوا دائماً وقوداً لصراع الآخرين على أرضهم وعلى جثث أبنائهم، وكانت الحرب الطويلة أوصلت المجتمع اللبناني إلى حال مخيفة من الشذوذ إلى العنف، وبدا اللبنانيون كافة في وقت من الأوقات كأنهم وقعوا في «آلية القتل والإقتتال». فتراكمات الحرب وإفرازاتها وإرثها الثقيل في العقول والقلوب جعل من معظم

اللبنانيين أزندة للبنادق يكفي أن تضغط عليها الأصابع لكي تتكرّر جولات القتل، ويفيض نهر الدم من جديد.

الآن تعب الجميع من الحرب، ومن الاحتكام إلى لغة الرصاص، وكل المتعبين في حاجة حيوية عميقة إلى منافذ للخروج من دوّامة العنف، تؤمن لهم الحد الأدنى من الاعتبار وماء الوجه ومنفذ الجميع هو الشرعية و « مغامرة الإنقاذ ».

« ...لقد حان الوقت لأن نعمل معاً من داخل الحكم وخارجه، وأياً كانت مواقعنا والعقائد، على توحيد لبنان من جديد، بل على بناء لبنان جديد، يكون للبنانيين وللبنانيين وحدهم، لجميع اللبنانيين من دون تفرقة ولا هيمنة ولا تسلّط... أنا أعرف وأنتم تعرفون أن الخروج بلبنان من سنوات الحرب الثماني، ليس بالعمل الذي يمكن أن يتم وكأنه من صنع السحر... وأن ثمّة استحقاقاً كبيراً ينتظرنا، وهو إعادة بناء لبنان، فليكن كل منكم في مستوى المسؤولية التاريخية لنستحق لبنان معاً، ونستعيده معاً غير مسترهن ولا سائب ولا مفكّك الأوصال ومبعثر القوى » (من رسالة الرئيس إلى اللبنانيين عبر التلفزيون في ٢٥ آب ١٩٨٣).

ولكن لا يكفي أن يتعب اللبنانيون من « آلية القتل والإقتتال »، فمن الأهم والأجدى أن يتعبوا من لعب دور الزناد في الصراعات الإقليمية والدولية، خصوصاً بعدما تبين أن الصراعات اللبنانية ـ اللبنانية، لن تنتهي إلا بمنهزم واحد هو الوطن اللبناني، وعندما يكون الوطن مهزوماً فكل اللبنانيين في

الهزيمة... « كلنا مغلوبون والغالب الوحيد هو المؤامرة المحنة ».

★ ★ ★

وسنوات الحرب لم تترك لنا ألوف الشهداء ومئات ألوف الجرحى والمهجّرين والمنكوبين، وإنما تركت لنا إرثاً مخيفاً من الواجبات والتحدّيات، أقلّها إعادة البناء والإعمار ورفع عماد البيت المهدوم، وأهمها وأكثرها إلحاحاً تعريف الجيل اللبناني الجديد، الجيل الذي نشأ في الحرب وتعرّف إلى الوطن والدنيا من خلال بشاعات الحرب، إلى حقيقة لبنان الحضارية ومغزاه الوطني والإنساني.

ولبنان قيمة إنسانية حضارية فريدة قد تكون مرفوضة على المستوى الإقليمي، أو أنها محكومة حتى بالإعدام، ولكن ليس من حق أبناء هذه القيمة أن يمارسوا هم هذا الرفض، أو ينفذوا هم حكم الإعدام.

ومغامرة الإنقاذ تصرخ في الجميع:

« ...لبنان الواحد سيكون مرّة أخرى. إنني أراه من خلال صرخات الشعب وإصراره على العيش في الوطن الواحد. هذا الشعب البطل الذي أثبت يوماً بعد يوم وسنة على إثر سنة انه يتمسك بلبنان من دون تحفّظ أو تردّد على رغم الدم الذي أهرق والكوارث التي شهدناها جميعاً... إنني أرى لبنان الجديد في عيون المؤمنين » (حديث الرئيس إلى مجلة المستقبل ١٩٨٤/٣/٢٢).

(١٤ آب ١٩٨٤)

الانتحار الذاتي والانقاذ

هذا الذي حصل، قد يكون معجزة.

ليس لأنه يشكل حلاً ناجزاً وشاملاً يقفل ملف الأزمة الدامية مرّة أخيرة، وليس لأنه سيوقف بلمسة سحرية لغة السلاح إلى الأبد، وقد يفعل إذا استمرت النيّات في ترنحها البطيء ناحية الخير والسلام.

وليس لأنه الهدف الذي من أجله استمرت الحرب كل هذه السنوات وقد تحقّق للجميع. وليس لأنه الاتفاق على قانون الدفاع والمجلس العسكري والخطّة الأمنية التي ستطرح من جديد تجربة بيروت الكبرى، وإحداث مديرية أمن الدولة، ليس لأن هذه الأمور التي اتفق عليها هي التي أزكت نار الصراع كل هذه السنوات.

الذي حصل معجزة حقيقية، لأنه اتُفق بين «الأشقاء الألدّاء» على أن يحصل. مجرد الاتفاق معجزة، على الأقل لأنه لم يكن مسموحاً للبنانيين في الأعوام الماضية، أن يتفقوا على شيء سوى استمرار الخلاف المدمِّر بينهم. وربما لأن اتفاقهم على تواضعه إذا قيس بحجم المأساة التي تخيّم على رؤوس الجميع، يشكّل إنجازاً يتعدّى الاتفاق على الاتفاق، إلى الاتفاق على مواضيع الخلاف.

في السنوات الأولى من المأساة قضت التدخلات الفلسطينية والخارجية بمنع حصول الاتفاق بين اللبنانيين، ثم جاءت

إفرازات الحرب الكريهة لتتولّى هي بالذات منع اللبنانيين من الاتفاق.

كيف؟

إن عشر سنوات من الحرب انعكست عند كل اللبنانيين مسلمين ومسيحيين قهراً ومرارة وكثيراً من المآسي والتعاسات، التي تشكل إرثاً ثقيلاً يرهق وجدان كل الناس العاديين والقادة، ويشحذ فيهم كل طاقات الضيق والكراهية والعداء، وأدّى هذا الإرث الذي لا يحمل بالجميع إلى الطريق المسدود الذي واجهته البلاد في الفترة الأخيرة.

وكان كل قيادي في طائفته، وكل مسؤول في منطقته تحوّل بفعل ضخامة المأساة، أسيراً لمنطق المرارة الناتجة عن الحرب، وكان كل اتفاق مع الطرف الآخر، أياً كان حجمه ونوعه، يبدو هزيلاً وساقطاً قياساً على الثمن «المعنوي» والنفسي الذي يترتب دفعه على من يريد الاتفاق، وهو في المناسبة لا يدفع من حسابه الشخصي، وإنما من مآسي الناس ومصائب الآخرين وان كانوا أهله وعشيرته.

وعلى رغم كل بيانات التفاهم وعبارات الترويج للنيات الطيّبة وديباجات الاتفاق والتلاقي التي كانت ولا تزال حتى الآن تظهر يومياً وبالمئات، ولكن في إطار دعائي تجميلي يحرص عليه الجميع، كان الجميع يتردّد أمام الفواتير المعنوية الباهظة التي يرتب الاتفاق دفعها من مشاعر المصابين والمتضرّرين، وكل اللبنانيين، مصابون ومتضررون.

كانت نتائج الحرب الطويلة والمخيفة وضعت جميع

اللبنانيين داخل « دائرة مجنونة » تطحن الجميع تحت مظهر الحفاظ على الذاتية، وتدمّر الكل تحت شعار تحصيل الحقوق، وتذبح الجميع من وراء قناع حفظ هذه الحقوق.

إن تراكمات الدم المهدور على مدى عشر سنوات، كانت كافية في حدّ ذاتها لتقييد إرادة الجميع، مواطنين عاديين أو قياديين، ولكفّ أيديهم وجعلهم أسرى المحورية الضيّقة للطائفة. وكان الخروج الفردي من « دائرة الانتحار الذاتي » المجنون الجماعي مساوياً للانتحار الفردي تماماً، وكان في استطاعة الجميع الاستمرارَ في النزف المميت في داخل الدائرة الأسطورية التي رسمتها الأزمة الطويلة.

★ ★ ★

وما حدث معجزة، لأنه يشكّل انقلاباً حقيقياً على ارث الحرب، وتحطيماً مبدئياً للقيود والحدود التي فرضتها في حدود الطائفة والعشيرة.

ولأنه يشكّل الخطوة الأولى يخطوها « الأشقاء الأَلِدّاء » في حكومة الوحدة الوطنية، خارج « دائرة الانتحار الذاتي » المجنون.

ولأنه يشكّل ضربة المعول الأولى في المحاولة الجماعية الأولى منذ عشر سنوات، في الطريق المسدود، في محاولة لاختراقه وإحداث منفذ منه إلى أرض الاتفاق والحلول.

وما حدث معجزة، لأنه في شكل أو في آخر، يساوي بالنسبة إلى كل الأطراف في الحكومة العتيدة، نوعاً من

« الانتصار الصعب الهضم » على النفس وعلى مشاعر الطائفة والعشيرة وإرثهما الثقيل من إفرازات الحرب.

وما حدث تاريخي.

لأن لم يكن من المنتظر أن يحدث شيئاً غير الايغال المازوشي داخل « دائرة الانتحار الذاتي » الجهنمية، وقد اندفعنا فيها جميعاً، مسلمين ومسيحيين، بينما الذي حدث هو توقف لا بل خطوة عبر حدود الدائرة المذكورة.

وإذا كانت رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة كما يقول المثل التقليدي جداً، فإن مسيرة الخروج من جهنم تبدأ في بطء شديد ومغالبة صعبة للنفس وانتصار أصعب على الذات، ثم لا تلبث أن تتحوّل ركضاً سريعاً إلى أبعد مكان ممكن عن نار جهنم.

ولعلّ وعسى، والأزمة الدامية في لبنان كانت جهنم كل اللبنانيين، ومن حقهم جميعاً، لا بل من واجبهم على رغم كل المآسي وكل الضغائن والأحقاد، أن يخرجوا ركضاً الكتف إلى الكتف.

ربما هي الصورة السوريالية لـ « مغامرة الإنقاذ » التي اختارها الرئيس أمين الجميّل عنواناً لحكمه. ورأى منذ البداية الحدود الصعبة والوعرة لتلك المغامرة، التي تمكّنت عبر ما حدث في نهاية الاسبوع من اختراق « دائرة الانتحار الذاتي » التي تخنق لبنان، وتلك المعجزة في حدّ ذاتها...

(٢٦ حزيران ١٩٨٤)

الارتداد إلى الوطن

والخروج من « دائرة الانتحار الذاتي » لا يتطلب انتصاراً على النفس، وتجاوزاً صعباً لإرث الحرب وما فرضه من القيود الطائفية على الجميع، ولا يفترض في كثير من المواقف والقرارات سلوك طريق معاكسة للتيار و « القناعات » و « التوجهات »، التي أرستها سنوات الحرب بكل ما فيها من شذوذ، وإنما يتطلب إضافة إلى كل هذا مواجهة تحديات دقيقة وعويصة ومحيّرة.

منها مثلاً موقف المتضرّرين من وقف الحرب، وهناك بعد عشر سنوات متضرّرون فعلاً من وقف القتال، ربما لأن الحرب التي استمرت كل هذه المدّة، تحوّلت قطاعاً « وظيفياً أو انتاجياً » أو أنها تجارة معيشة وحياة... ويكفي أن نتذكّر في هذا المجال أن المنطقة الغربية من بيروت كانت تضم ١٦٢ حزباً ومنظمة وتنظيماً عسكرياً، وأن كل هذه التنظيمات أمنت المعيشة والوظيفة لعناصرها من خلال الحرب. فإذا توقفت فسيحدث انقلاب حقيقي في المعيشة اليومية للكثيرين، وربما تجد من يقول لك: « إن قطع الأرزاق من قطع الأعناق »!

والتحدّي الحقيقي الذي يواجه القياديين في إطار حكومة الاتحاد الوطني، إيجاد الحل الصحي لهذه القضية العويصة التي تهدّد شرارتها الدائمة بإبقاء الوضع الأمني هشاً وقابلاً للتفجير في كل لحظة يحسّ فيها هذا الفصيل أو ذاك المسلّح انه بات بلا عمل وبلا مورد رزق!

والقضية من هذه الزاوية مأساة وإن كانت مضحكة، وهي تطرح بالذات، تحدّياً واسعاً على القيادات الاسلامية التي تشارك في تحمل المسؤولية من خلال الحكومة، ربما لأن الصورة لا تطرح في هذه الحدّة والإلحاح في المنطقة الشرقية الموحّدة أمناً ومقاومة.

وإذا أضفنا إلى كل هذه المصاعب الذاتية والنفسية التي تواجه القياديين والواقعية العملية على الأرض التي تفرض عليهم تحديات تبلغ أحياناً مرحلة المواجهة المسلّحة السافرة مع التنظيمات المعتبرة حليفة الخندق الواحد... إذا أضفنا كل هذا إلى الانعكاسات الخارجية على الوضع الداخلي، وهي انعكاسات منعت اللبنانيين في الأعوام الماضية من التفاهم والالتقاء والحوار، وفرضت عليهم خطوط تماس جغرافية، وخطوط تماس نفسية أدهى وأشد خطراً، إذا أخذنا بهذه الصورة من كل زواياها أصبح في الإمكان تقدير أهمية الخطوة الأولى التي حققتها «مغامرة الإنقاذ» وتمثّلت في مقررات مجلس الوزراء، وهي الأولى من نوعها وحجمها منذ عشر سنوات.

نقول هذا الكلام ونحن ندرك تماماً ان ما حصل ليس اجتيازاً لطريق الحل والتسوية وإنهاء للغة العنف ووقفاً لدورة الانتحار الذاتي المجنون، بل هو اكتشاف للطريق، واتفاق مبدئي على إسكات السلاح وتفاهم على ضرورة الكفّ عن الاندفاع في منزلق الانتحار العام.

وهذا الإنجاز في حدّ ذاته يشكل شيئاً لم يكن أحد قادراً

على تصديقه قبل أسابيع قليلة، وعلى رغم حصوله الآن، يرفض الكثيرون هنا وهناك تصديقه، أو أنهم يتهيبون الأخذ به في جديّة وتفاؤل، وقد علمتهم تجارب الماضي كيف يذوقون المرّ والعلقم... ولكن، في الأعوام العشرة الماضية، لم يحصل اتفاق من هذا، وفي وسط هذا المناخ والقناعات.

ويلعب المناخ والقناعات دوراً حاسماً في مسار الصراع وتوجهاته، لأن كل الأطراف المتنازعة وصلت إلى قناعة متساوية، وهي أن لا يمكن لأحد أن يزيل أحداً، أو يلغي أحداً، أو يحقق انتصاراً عسكرياً على الآخر، من هنا فالمضي في لعبة الحرب ولوج في دوامة الانتحار الجماعي المجنون.

ومن هنا أيضاً ظاهرة الارتداد إلى لبنان عند الكثيرين وقد اكتشفوا أن ما يعطيه الوطن لا تعطيه الأوطان الأخرى، وأن « مغامرة الإنقاذ » هي تحدٍّ وواجب وخلاص: تحدٍّ للنفس وتحفيز لها للخروج من دوّامة العنف المميت، وواجب للعقل يتحمله كل اللبنانيين لا أمين الجميّل وحده، بحيث ندرك جميعاً هنا وهناك أنه لا ينقذ لبنان إلا اللبنانيين، ولا ينقذ أنفسنا إلا أنفسنا... و « مغامرة الإنقاذ » خلاص لأنها خطّة كاملة ومتكاملة لإخراج الوطن المثخن بالجروح من أشداق الأزمة الدامية. فهل نحن في مستوى التحدّي والواجب والخلاص؟

(٢٧ حزيران ١٩٨٤)

وانقاذ
الجيل الجديد

...واتفاق اللبنانيين على أن يتفقوا للمرة الأولى منذ عشر سنوات، شكل من ناحية عملية، الخطوة الأولى للخروج من « دائرة الانتحار الذاتي الجماعي » الذي كان يهدّد بتكريس تمزّق الوطن وضياعه...

وفي هذا الإطار الحيوي والصميمي بالذات سجّلت « مغامرة الإنقاذ » الاختراق الأول في طريق الحل المعجزة، في وقت كان واضحاً أن اللبنانيين المثقلين بتراكمات الحرب ومآسيها وقيودها وقعوا جميعاً قرار المضي في الانتحار إلى النهاية، وان القوى الأخرى الاقليمية والدولية وقعت قرار إلغاء الوطن اللبناني من الوجود.

ومن الآن وصاعداً، يصبح في استطاعة الجميع اكتشاف كم كانت « مغامرة الإنقاذ » تحتاج إلى العناد وكل العناء والشقاء، الذي يبذله الرئيس أمين الجميّل، وهو يعرف تماماً حجم التحديات والصعوبات والعراقيل ومدى الإرث الثقيل الذي خلّفته سنوات الحرب عند كل الطوائف اللبنانية.

كان مطلوباً أن يتوقف الكل فترة عن ذلك الانزلاق المخيف في اتجاه الهاوية، وأن يدركوا مدى الدمار الذي سيلحق بالطائفة التي من أجلها يقاتلون الوطن، إذا انهار الوطن، وأن يعوا مدى الجنون المحيّر الكامن في ذلك الاندفاع

في حرب ليس فيها منتصر أو منهزم، فالجميع مهزومون وفي مقدمهم لبنان.

★ ★ ★

أما وقد حصل، وكل الرجاء أن يكون حصل هذا التوقف والإدراك والوعي، فبات علينا جميعاً من الآن وصاعداً القراءة في الدفاتر الصعبة، وفي الفواتير الصعبة، فنحن لا نعود من نزهة استمرت عشر سنوات وإنما من حرب استمرت هذه المدة، ومن الطبيعي أن تتطلب عشرات السنوات، لمحو آثارها المدمّرة في البشر والحجر على السواء.

وبغضّ النظر عن الشكل الذي سيأخذه بناء لبنان الجديد، وأياً كانت صيغة النظام المستقبلي، فإن قرار الخروج من دوّامة الحرب إلى متنفس السلام يفترض فينا جميعاً أن نواجه المسؤوليات الجسيمة بذهنية علمية وحسابية مبرمجة واعية، لسبب بديهي بسيط، هو أن صناعة السلام والمستقبل تتطلب بذلاً وعناء أكثر من صناعة الحرب، والبناء في طبيعته المادية البسيطة يحتاج إلى الجهد أكثر مما يحتاج الهدم.

وإذا كان الخروج من الحرب رتّب على جميع القياديين، خصوصاً في إطار الحكومة، انتصاراً على النفس من خلال الجرأة على تجاوز إرث الحرب، وسيرتب حتماً تحقيق «انتصار»، ليس بالضرورة عسكرياً، على المتضرّرين من وقف صناعة الحرب... فإن هذه الانتصارات على صعوباتها تبقى في إطارها المادي التكتيكي السهل، إذا قورنت

بالصعوبات الأخرى ذات العمق الحيوي الاستراتيجي التي ترتبها تحديات السلام والبناء، على الجميع.

★ ★ ★

وقبل الحديث عن التحديات الكامنة في المواضيع الاقتصادية والصناعية والسكنية والتربوية والإعمارية والوظيفية، يجب التوجه فوراً إلى الإنسان اللبناني الخارج من دائرة الحرب وترسّباتها الجهنمية.

الإنسان؟... لأن تعمير العقول أهم من تعمير الأسواق التجارية، وترميم النفوس أهم من ترميم العقارات، ولأن إزالة خطوط التماس من الصدور أهم بكثير من إزالتها من وسط العاصمة، ولأن فتح القلوب أهم من فتح المرفأ والمطار، ولأن تحريك الضمائر والوجدان أهم من تحريك عجلة الانتاج والبناء، على الأقل لأن الإنسان اللبناني هو الذي سيقوم بكل هذه المهمات.

والتحدّي الكبير الكبير، يكمن في الجيل اللبناني الجديد، الجيل الذي بلغ الرشد والإدراك خلال سنوات الحرب، وهو الجيل الذي يشكل المستقبل، والذي يعيش حالاً من الغربة المخيفة في إطار التعايش المحتوم بين اللبنانيين مسيحيين ومسلمين.

هناك جيل مسيحي دهمته الحرب وهو في العاشرة أو الخامسة عشرة من العمر، وهو الآن بين العشرين والخامسة والعشرين وقد بدأ يحتلّ مكانه الحاسم في المجتمع، وهناك جيل مسلم مشابه في المقابل.

ماذا يعرف هذا الجيل المسيحي والمسلم عن « صيغة التعايش » أو عن « التفهم والتفاهم » وكل الشعارات الأخرى، انه يسمع ولا يفهم لا بل ان البعض يعتبر هذا الكلام شيئاً غامضاً وغير موجود أو انه من الأكاذيب الرائجة.

الجيل المسيحي الجديد لم يتعرف إلى الجيل المسلم الجديد، انه يعتبر المسلمين من أكلة لحوم البشر، وكذلك الجيل المسلم يعتبر المسيحيين من أكلة لحوم البشر، لقد أخذوا من الحرب عظاتها البشعة ودروسها السود وقناعاتها الكريهة، ومطلوب منهم في غضون سنوات قليلة أن يكوّنوا معاً مستقبل البلاد والعباد، سواء كان لبنان المستقبل دولة مركزية أو دولة فدرالية، إنهم مدعوون، هؤلاء الشبّان إلى العمل معاً من أجل الوطن، فهل هم قادرون على مجرد العمل معاً؟

الصورة مخيفة، والواقع مخيف أكثر، وإذا كانت ثلاثة أرباع الجغرافيا اللبنانية تحت الاحتلال، فإن كل الجغرافيا البشرية اللبنانية، تخضع لاحتلال أدهى يتمثّل في القناعات الخاطئة والمدمّرة، وفي ذلك الطلاق الإكراهي المخيف بين جيلي مستقبل البلاد.

هناك شبّان مسيحيون يتحدثون عن المسلمين من خلال سلبية إرث الحرب، فإذا سألت أحدهم: هل تعرف المسلمين وهل سبق أن التقيت مسلماً؟ هل تناقشت مع مسلم؟ هل تعرف منطقة البسطة والحمراء؟ يقول لك: لا، وقد أصيب بصدمة السؤال، وكذلك الحال عند الشبان المسلمين ومعظمهم لم يلتق مسيحياً ولا ناقش مسيحياً أو عرف الأشرفية والدورة.

الوضع في مستوى الأسطورية بين عشر سنوات من الطلاق وشحن الحرب، وإذا كانت البطولة تتمثّل في خروج اللبنانيين اليوم من أتون الحرب ودائرة الانتحار الذاتي، فإن البطولة الأهم تتمثّل في نزع فتيل الحرب المهدّدة دائماً بالاندلاع، من عقول الجيل اللبناني الجديد الذي يبقى الضحية الأولى للحرب من حيث الرؤيا والقناعة والتصوّر.

★ ★ ★

إنه التحدّي الأول الذي يتجاوز في خطورته موضوع الخطّة الأمنية وتحرير الأرض، لأنه يتطلب منا جميعاً مئات الخطط البشرية ومئات البرامج التصحيحية...

والأمر لم يكن منذ الأساس غير محور جوهري في « مغامرة الإنقاذ »، وفي خطاب العهد توقف الرئيس أمين الجميّل في إصرار واضح، أمام موضوع « بناء الإنسان اللبناني الذي هو جوهر بناء الوطن اللبناني ».

وكان يدرك تماماً، أن التحديات التي يواجهها لبنان على صعيد بناء جيله الجديد، جيل الغربة والاغتراب والشذوذ عن روح التعايش، هي أكبر بكثير من تحديات بناء الأحياء والبيوت.

وصناعة البشر تحتاج أكثر بكثير من صناعة الحجر، وفي أعماق « مغامرة الإنقاذ » رؤيا كاملة شاملة لبناء الإنسان اللبناني بناء رائعاً متقدماً نموذجياً فريداً يوازي بالطبع بناء الوطن اللبناني الجديد.

(٢٨ حزيران ١٩٨٤)

مغامرة الإنقاذ
... والتعايش

...وإذا كانت « مغامرة الإنقاذ » حققت اختراقها الأول والأساسي في إطار إنجاز ما كان مستحيلاً في خلال الأعوام العشرة الماضية، وما كان يبدو مستعصياً قبل شهور، وهو دفع اللبنانيين إلى أن يتفقوا على مبدأ الاتفاق بعد الصراع المستديم، وأن يلجوا في التفاصيل العملية للاتفاق سواء من خلال مقرّرات مجلس الوزراء أو تشكيل المجلس العسكري أو الخطة الأمنية.

إذا كان هذا الإنجاز الذي يضع عجلة الخلاص على خط الإنقاذ الثابت والصامد، يثلج الصدور بعد سنوات الحمّى الشديدة، ويريح النفوس بعد المتاعب التي لم توفر أحداً من اللبنانيين، فهو يضعنا جميعاً أمام تحديات مصيرية لا بل أنها تاريخية في حجمها ومحتواها وأبعادها.

وإذا كان الحكم بكل عناده وصبره وعنائه والشقاء أمسك بحجر الوسط ومنع عقد الوطن من الانهيار الكامل والشامل، وحال دون الاستمرار في ذلك الاندفاع المخيف في اتجاه الهاوية، فإن من مسؤولية الجميع في هذه المرحلة الدقيقة والتاريخية والحاسمة، أنْ يصحّحوا طريقهم، ويخطّطوا لمستقبل يخلو على الأقل من طوفان الدم الذي يغرق لبنان منذ عشر سنوات.

وفي استطاعة هؤلاء جميعاً ومن دون استثناء أن يستعيروا

من الرئيس أمين الجميّل صبره وقد فاق صبر أيوب، وعناده المصرّ على الإنقاذ ولو كان إعجازياً، وحكمته وجرأته في تغليب مصلحة الوطن على مصلحة الجماعة، وفي تقديم مصلحة الكل على المجموعة.

والأمر ليس سهلاً كما يتصور البعض، خصوصاً أن إرث الحرب الطويلة يكبل الأفكار والأعناق والإرادات، وقد أفرز استحقاقات وفواتير مخيفة تصبّ كلها في الإطار الضيّق للطائفة أو للمجموعة، ولو كانت في المطلق على حساب الوطن.

إن سنوات عدّة من التحديات الكبرى تنتظر اللبنانيين، أياً كان نوع النظام الذي سيختارونه لمستقبل وطنهم وشكل هذا الوطن، مركزياً أو لامركزياً، فدرالياً أو غير فدرالي، وبغض النظر عن مسؤوليات البناء والتعمير وإزالة آثار الحرب البغيضة، هناك أخطاء تاريخية اقترفناها جميعاً في السابق، يجب أن نتعلم كيف نتلافاها أو كيف نصحّحها في المستقبل.

هذه الأخطاء تقودنا فوراً إلى تكرار الحديث عن أهمية إسقاط آثار الحرب من نفوس الجيل اللبناني الجديد وعقوله، خصوصاً أنه تربى في ظل أجواء مرضية فرضتها الحرب، مما أفرز حالاً من الطلاق المخيف بين الشباب المسيحي والشباب المسلم، اللذين ستقع عليهما أعباء المستقبل القريب.

ولأن بناء البشر أهم من بناء الحجر ويتقدم عليه، وقد كان الرئيس أمين الجميّل حريصاً منذ خطاب القسم الدستوري على تأكيد الأهمية المطلقة التي يوليها لهذا الأمر، لا يكفي أن

نتوقف عند تحديد « الداء الوطني » الذي ينخر عقل جيل لبنان الجديد، بل يجب أن ننفذ إلى عمق المشكلة في محاولة حاسمة لتعيين الدواء والمعالجات الصحيحة.

إن هذا التحدّي الحضاري الكبير الذي يواجه مستقبل لبنان، ليس مسؤولية هذا الطرف أو ذاك بل هو مسؤولية الجميع، وكل الطوائف.

وليس مسموحاً لنا بعد ٤٣ سنة من الارتجال وعشر سنوات من المآسي الدامية أن نعود إلى الأساليب السطحية السخيفة في موضوع التعايش بين المسيحيين والمسلمين.

إن التعايش قضية حضارية عميقة ومعقّدة ودقيقة ولن تصبح حالاً ثابتة ومتنامية من خلال التصريحات العاطفية والتعليقات الاستهلاكية، وشعارات الكنيسة والجامع والكاهن والشيخ وإلى ما هناك من الفولكلور المضحك المبكي، الذي طبّقناه في الماضي فأوصلنا إلى ما نحن فيه.

إن التعايش قضية تحتاج إلى منهج علمي وأكاديمي يفسّرها التفسير الحضاري السليم، ويضعها في إطارها العقلاني المتقدّم، ويعطيها أبعادها الفذّة والمتفوّقة، ويجد لها الأطر والمؤسسات ومراكز الأبحاث، وحلقات النقاش، والمناهج التربوية التي يجب أن ينشأ عليها الطفل المسيحي والطفل المسلم.

لقد تحدّثنا عن التعايش ٤٣ عاماً، حديث الاستهلاك أو رفع العتب، ولم تعقد حلقة علمية جادة واحدة عن الموضوع، ولم تنشأ هيئة دراسات واحدة تبشّر بالمحتوى الحضاري له، ولم

نقدم إلى أطفالنا حصّة واحدة على مقاعد الدراسة الابتدائية عنه.

ماذا فعلنا لنتعايش؟ لم نفعل شيئاً، أيـن هـي المؤسسـات وحلقات البحث والدراسة؟ أين هي البرامج التربوية؟ أعطوني كتاباً واحداً ذا قيمة فكرية عن التعايش الذي يستحق أكثر من مؤسسة مختصّة وأكثر من وزارة تقودها نخبة من الذين يدركون القيمة العلمية والحضارية للتعايش بين المسيحيين والمسلمين.

لم نفعل شيئاً أيها السادة، نحن نستحق صفراً مكعباً، ولكي لا تتكرّر الأصفار في تاريخنـا جميعـاً، يجب الآن أن نعـرف كيف نبدأ ومن أين نبدأ، كيف نتعلم من أخطاء الماضي، كي لا يتكرّر الماضي بكل مآسيه.

★ ★ ★

وفي برنامج «مغامرة الإنقاذ» فصل أساسي طويل جداً يصبّ في هذا الموضوع المصيري، لا بل ان «مغامرة الإنقاذ» نفسها قامت على رؤيـة فـريـدة، تجعـل مـن التعـايش الشيء الحضاري المتميّز الذي يعنيه أصلاً.

فماذا ننتظر جميعاً؟

(٣ تموز ١٩٨٤)

الانقاذ وخلق الظروف الملائمة

قاعدة كل زمان ومكان تقول: «يعرف الجميع كيف يذهبون إلى الحرب ولكن لا يعرف أحد كيف يخرج من الحرب». ربما لأن الخروج من دائرة العنف أصعب بكثير من دخولها. وربما لأن الدخول يتم تنفيذاً لقرار واختيار، لا تلبث الحرب أن تعطلهما من خلال إفرازاتها وترسباتها وارثها الثقيل ويصبح الخروج من الحرب رهناً بالظروف الملائمة.

★ ★ ★

نسارع إلى القول أن «الظروف الملائمة» هي التي تشجع على التفاؤل في هذه الساعات الحاسمة وهي التي قد تجعل من تنفيذ الخطة الأمنية نزهة عسكرية سهلة ومريحة، بعدما كانت إلى الأمس القريب من الأمور المستعصية.

وإذا كان من المهم الوقوف عند حدود هذه الظروف الملائمة، فمن الأهم ملاحظة تفاصيل المسيرة الدقيقة والحاسمة في كثير من الدراية والصبر والعناد والإصرار، لكي يصل بالبلاد والعباد، من خلال «مغامرة الانقاذ» إلى تلك «الظروف الملائمة» التي قد تكون المدخل الثابت والحاسم إلى طي ملف الأزمة اللبنانية، ومباشرة بناء الوطن واعماره بعد إرسائه فوق قواعد صلدة توفر عليه في المستقبل كل الهزات والويلات.

و «مغامرة الانقاذ» كانت في الأساس رهاناً كبيراً، على

قدر الإيمان، وفي حجم الحماسة التي لا تضاهى لخلق وطن فذ لجميع اللبنانيين يعطيهم الاستقرار والأمن والعزة في إطار من الحرية والديمقراطية والمساواة.

وعلى رغم كل ما حدث، ظل الرهان ثابتاً وقد اهتزت الجبال لا العقول والصدور فحسب وظل الإيمان ساطعاً، واستمرت جذوة الحماسة في فوران اشعاعها... وجاء حين من الدهر الصعب على لبنان واللبنانيين، تبين فيه أن صاحب « مغامرة الانقاذ » يصر في عناد المؤمن، على تنفيذ فعل الانقاذ ولو بالإكراه.

ربما لأن أمين الجميّل كان يعرف سلفاً أن أكبر التحديات التي تواجه « مغامرة الانقاذ » هي مسؤولية ايجاد « الظروف الملائمة » للاتفاق بين اللبنانيين، الذين ذهبوا إلى الخلاف والحرب تحت وطأة ظروف طاغية ومفروضة فرضاً، على أيدي الفلسطينيين أولاً، ثم على أيدي عدد كبير من القوى الإقليمية والدولية التي حولت الوطن النموذجي الصغير رقعة شطرنج حامية للعبة المصالح والأهداف.

وربما لأن أمين الجميل كان يعرف سلفاً أن « الظروف الملائمة » التي تفسح في المجال أمام الحلول الداخلية، إنما هي خارجية بحت تتداخل فيها الصراعات والمصالح والمواقف، وهكذا فالبحث عن الانقاذ، تركز على المحاولات الفذة والمعقدة، لتحييد لبنان عن الصراعات الكبرى التي تحتمل دهراً من المماحكات فيما الوطن الصغير لم يعد يحتمل ثانية من تأخير الحل.

كان مطلوباً من « مغامرة الإنقاذ »، أن تحقق معجزة حقيقية، لأن كان عليها انتزاع لبنان من أتون صراعات الآخرين، وهو انتزاع صعب ومر، إذا راق لهذه الفئة من أهل الوطن يغيظ تلك، وإذا أراح هذه يتعب تلك. ولم يكن من المعقول على الإطلاق نجاح الخطط الأمنية، ما لم تتوافر « الظروف الملائمة » التي لا تتوافر إلا عن طريق سحب الوطن الجريح، أياً كان الثمن والوسائل، من عنق الزجاجة الخانقة.

والرؤية من خلال المسؤولية التاريخية، ومن خلال الإيمان بالانقاذ ولو كان مغامرة في حد ذاته، تختلف تماماً عن الرؤية من الزوايا الضيقة التي فرضتها الحرب فرضاً على كل اللبنانيين.

والخطة الأمنية يجب أن تنجح ولا بد من أن تنجح، وهي فصل تمهيدي أول في الحل وطي ملف الأزمة الدامية، لأن « مغامرة الانقاذ » المصرة على النجاح حققت معجزة توفير « الظروف الملائمة ».

فما هي هذه الظروف؟

(٥ تموز ١٩٨٤)

الظروف الملائمة لاستحقاق الحياة

ما هي عملياً «الظروف الملائمة» التي حققتها «مغامرة الانقاذ» كخطوة اعجازية أولى، على طريق الحل الطويل، وفي إطار إقفال الملف الدامي لتلك الحرب الكريهة، التي خيمت فوق لبنان واللبنانيين منذ عشرة أعوام؟

نطرح هذا السؤال في وقت يراقب الناس تنفيذ «الخطة الأمنية» فلا يصدقون أن الأمور تسير في شكل سليم ومريح، لا بل أنهم يصابون بالدهشة وهم يراقبون جبال التراب تختفي من المعابر، تمهيداً لعودة الأمور إلى طبيعتها المرتجاة.

وإذا كان من حق الناس أن يصابوا بالدهشة ويترددوا في التصديق، بعد خيبات الأمل الكثيرة التي أصابتهم في الأعوام الماضية، فمن واجبهم الوطني الآن أن يؤمنوا بأن «الخطة الأمنية» ستنجح، لا بل أنها ناجحة مهما كلف الأمر، وبحيث ينفتح باب الحل النهائي الثابت والمستقر على مداه الواسع.

الخطة الأمنية ستنجح، لأن لبنان لن يموت وقد ثبت أنه غير قابل للموت والزوال، ولأن «مغامرة الأنقاذ» ماضية في إصرارها الحاسم، على بعث الوطن اللبناني في العقول والصدور، قبل تثبيت شرعيته ووجوده الشرعي عند المفترقات التي كانت مغلقة حتى أمس القريب، وعند المعابر التي كانت عنواناً بارزاً في الصراع والانقسام.

★ ★ ★

و « الظروف الملائمة » التي تشكل في حد ذاتها فرصة مؤاتية لاندفاع ديناميكية السلام في الوطن المثخن بالجروح، يجب أن تتحول مناخاً مستقراً وثابتاً يقودنا جميعاً الى الخروج من نفق المأساة المميتة.

نحن نعرف أن صاحب « مغامرة الانقاذ » هندس في كثير من الشقاء والعناء والصبر والعناد هذه « الظروف الملائمة »، ويعرف اللبنانيون أيضاً، أنه يحاول في اندفاع لا يكل جعْلَ هذه الظروف مناخاً دائماً، يرسي لبنان فوق قواعد جديدة غير قابلة للاهتزاز بعد اليوم.

لكن المسؤولية الأخلاقية والوطنية تفرض على الجميع، أن يسهموا في صنع هذا المناخ، وفي دفع ديناميكية السلام إلى الأمام. فالمستقبل مستقبل الجميع والمصير مصيرهم، ولم يعد مقبولاً بعد اليوم، وقد توافرت ظروف الخروج من دوامة الآلة الجهنمية للحرب، الا نخرج إلى السلام أو أن نبقى في الدوامة القاتلة.

ما هي « الظروف الملائمة »، وكيف توافرت؟

في كلام مجازي، انها بمثابة فجوة في الجدار المقفل، أحدثتها « مغامرة الإنقاذ » وفتحت أمام الأطراف اللبنانيين مجال الاندفاع خارج أتون الصراع.

وهي في كلام واقعي، بمثابة الوصول مع جميع أطراف النزاع إلى حصيلة واحدة، تتمثل في اقتناع الجميع، في أن المضي في لعبة الحرب ليس إلا نوعاً من الانتحار الذاتي،

خصوصاً أن لعبة الصراع الدامي لا يمكن أن تنتهي بمنتصر أو بمنهزم وإنما بمهزوم واحد هو لبنان.

هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الخارجي الذي يتداخل تداخلاً حاسماً بالموقف الداخلي، فإن المهمة كانت أصعب ولا تزال، والتحدّي كان أكبر ولا يزال... وإذا كان أهل الإنقاذ حققوا خطوة تاريخية وإعجازية، من خلال انتزاع لبنان نسبياً من حقل المؤثرات الخارجية مما وفر لنا هذه «الظروف الملائمة»، فإن من واجب كل اللبنانيين أن يحولوا هذه الظروف، محطة انطلاق كبرى إلى الحل النهائي، فسفينة الإنقاذ جاهزة وحاضرة، والمطلوب فقط أن نصعد إليها، لا أن نعمل على تمزيق أشرعتها.

من هنا، ليس مقبولاً على الإطلاق، استمرار البعض في التنظير المشكك والقول أن ما يحدث هدنة، لا تلبث أن تنتهي، فمسؤولية تحويل الهدنة سلاماً ثابتاً وكبيراً تقع على الجميع... وإذا كان السلام في معناه المادي المطلق هدنة طويلة ومتلاحقة، فإنه في معناه الواقعي المحدد انعكاس حتمي لقرارات الناس ونياتهم وتصرفاتهم.

وعلى افتراض اننا أمام «هدنة» فحسب، فهل نحن جديرون جميعاً بتحويل هذه الهدنة سلاماً ما فتئنا نبحث عنه منذ سنوات. وهل نحن قادرون على اجتياز الامتحان الحاسم، وقد أتاحت لنا «مغامرة الانقاذ» فرصة التحلل مما كنا نشكو

منه جميعاً تحت شعارات التدخلات الخارجية والخربطات الخارجية والتخريب الخارجي.

المسيحيون شكوا والمسلمون شكوا أيضاً، وها هو العهد يقوم إلى الجميع فرصة التخلص من الشكوى ولو إلى حين، فهل نستطيع جميعاً أن نقتنص الفرصة الذهبية، وان ننجو بوطننا وأنفسنا، مما نتفق جميعاً على اعتباره «مؤامرة كبرى على الوطن الصغير».

إنها «الظروف الملائمة»، ليس لتنفيذ الخطة الأمنية فحسب، وإنما أيضاً لأنهاء الحرب وإسقاطها مرة أخيرة، والانكباب على لملمة أجزاء الوطن المتناثرة ومباشرة أحيائه وإعادة بنائه.

★ ★ ★

وليس كثيراً بعد كل ما حصل في العامين الماضيين، إذا اكتشف اللبنانيون الآن أن «مغامرة الانقاذ» كانت لإنقاذ اللبنانيين من أنفسهم، ومن الفواتير الصعبة التي رتبتها عليهم سنوات الحرب تزمتاً ضيقاً وإرثاً يكبل العقل والساعد معاً.

وأهمية هذه المغامرة أنها سجلت الخطوة الحاسمة الأولى في هذا المجال المعقد، أي إنقاذ اللبنانيين من أنفسهم، قبل إنقاذهم من الغرباء. إذ يوم ينقذ اللبنانيون أنفسهم، سيكلفون متعاونين عملية انقاذ الوطن من كل غريب.

تلك هي المسألة في عمقها الحقيقي، وذلك هو التحدّي في معناه العملي، فها نحن جميعاً أمام «الظروف المؤاتية»، وليس

مسموحاً لنا أن نبقى داخل دوامة الانتحار الذاتي.

وفي استطاعتنا الآن بالتحديد، مسيحيين ومسلمين، أن نوقف النزف القاتل، ونبدأ فعل الحياة، حياتنا جميعاً، فهل نستحق الحياة؟

سؤال نطرحه على كل اللبنانيين نيابة عن أمين الجميل الذي يقول أن لبنان يستحق ما هو أهم من الحياة أيضاً.

(٦ تموز ١٩٨٤)

وَطنٌ علَى قياسِ
كُلِّ أبنائه .

لا يكمل حديث رئيس الجمهورية إلى وفد نقابة الصحافة أمس الأول، غير حديث أمين الجميل الى أعضاء السلك الدبلوماسي أمس. فالحديثان معاً يشكلان تصوراً متكاملاً وصريحاً ومبسطاً وواضحاً لـ « مغامرة الإنقاذ » التي اختارها الرئيس منذ اللحظة الأولى عنواناً لمسيرة عهده.

إنها ليست المرة الأولى يتحدث أمين الجميل عن « مغامرة الإنقاذ »، لكن حديثيه، اليومين الماضيين، يشكلان محطة أساسية في المسيرة، لأنهما من الألف إلى الياء، كانا بمثابة تشخيص مدقق للوضع اللبناني من كل وجوهه، خصوصاً بعد انقضاء العام ١٩٨٣ وما حمله من أحداث وتطورات... وهو تشخيص نقي حدد الأمراض والعلل وعيّن الأدوية والمعالجات.

فالحديث إلى رجال الصحافة فتح ملف الوضع الداخلي على مداه، وشمل كل شيء من الأمن والحرية إلى موضوع الرغيف، مروراً بالمشاكل والعقبات التي ما زالت تنسحب فوق الوضع اللبناني بسبب التدخلات والإيحاءات الخارجية.

أما الحديث إلى رجال السلك الدبلوماسي فقدم تشخيصاً كثير الدقة والوضوح، لموضوع الإنقاذ، لا بل حدد الملامح البارزة والأساسية للوطن اللبناني « المنتقل بصيغة التعايش من التجاور الى التكامل، لتحقيق الذات الوطنية الواحدة المنصهرة

في وطن نهائي، منيع الاستقرار، دائم الاستمرار على مدى الأجيال اللاحقة».

وإذا كان تفاؤل الرئيس مسك ختام الحديث إلى الصحافيين، فإن تصميم الرئيس على تحقيق حلمه الكبير في الإنقاذ والبناء، كان مسك ختام الحديث إلى الدبلوماسيين، وفي التفاؤل والتصميم عناد وإصرار لا عودة عنهما.

★ ★ ★

في أي حال، لسنا هنا في مجال تقريظ كلام الرئيس، والمطلوب منا ومن اللبنانيين جميعاً، لا أن نقرأ فنفرح ونرتاح، وإنما أن نقرأ فنفهم ونتعب، لأن انقاذ الوطن ولملمة أجزائه وإعادة بنائه تتطلب من الكل التعب والاجهاد.

إن إسقاط الإرث الأسود الذي يواجهنا جميعاً، والمتمثل في عشر سنوات من الدم والدمار والخراب، يفترض فينا، أينما كنا في الجنوب أو في الشمال، في بيروت أو في البقاع، أن نكون قادرين على اجتراح المعجزات، ربما لأن «مغامرة الإنقاذ» تتخذ في وسط السدود القائمة، وفي وسط ذلك التشابك الإقليمي والتقاطع الدولي فوق أرضنا، حجم «معجزة حقيقية».

معجزة؟ حلم كبير؟

مهما كانت. انها تفترض في كل اللبنانيين أن يشاركوا واقعياً وعملياً في تحقيقها، فإيمان الرئيس بالإنقاذ لا يكفي، وعناد أمين الجميل في عملية بعث الوطن المتهالك لا يكفي

أيضاً، خصوصاً ان الإنقاذ والبعث يتمان حتى الآن بالإكراه... وليس مطلوباً من اللبنانيين أكثر من أن يريدوا الخلاص، لكي تسهل المهمة، فيصبح الإنقاذ في متناول الجميع.

★ ★ ★

« لقد بدأ الحكم العام ١٩٨٢، وكل فريق أعطانا فرصة حتى نهاية الشتاء لتفصيل لبنان على قياسه »...

أوليس هذا ما حدث عملياً حتى الآن؟ لقد جاء أمين الجميل إلى الحكم متعهد انقاذ، يملك برنامجاً وخطة وتصوراً، فانهالت عليه « دفاتر الشروط ». عشرات من دفاتر الشروط المتناقضة والمتعارضة والمتداخلة وغير المعقولة، وكلها تضع للبنان قياسات تلغي مميزاته وخاصياته وفرادته، وكلها تكفل وأده وإطلاق رصاصة الرحمة على جسده المثخن بسنوات الدمار.

★ ★ ★

وأمام هذا الطوفان من الدفاتر والشروط واللبنانات، قرر أمين الجميل أن يقرأ كل الدفاتر، وفعل هذا وفي عناية، ثم قال للجميع: دعونا من كل هذه الدفاتر لأنها تقتل لبنان وتلغيه، فهو ذو خاصية لا يمكن تفصيلها وفق هذا القياس ودون ذاك، وتعالوا نعمل جميعاً في إطار « مغامرة الإنقاذ » التي تعطي لبنان الوطن قياساً يتسع للجميع، ويرد على طموح كل الطوائف والفئات، ويتجاوب مع رغبة الكل في الخلاص وإعادة بناء الوطن والمستقبل.

وقدم أمين الجميل إلى اللبنانيين، في وسط هذا الطوفان من

التناقضات نموذجين: الوحدة الوطنية وقيام الجيش المقاتل، وطويت دفاتر كثيرة وسقطت شروط أكثر. لكن بعض «القياسات المطروحة» الآن، بدوافع شخصية أو طائفية ضيقة، أو بدفع من قوى إقليمية أو دولية، ما زال يعرقل الانطلاق الكامل لورشة الانقاذ وإعادة البناء.

وهكذا يأتي كلام الرئيس أمس الأول، خصوصاً أمس ليضع الجميع أمام مسؤولياتهم: «ان الوفاق الوطني مبدأ حتمي لاستمرار لبنان الوطن...»

وعلى الذين يستمرون في عرقلة هذا الوفاق، أن يدركوا أن الضرر ينالهم قبل أن ينال غيرهم، وأن يعوا الأبعاد الحقيقية «لمغامرة الإنقاذ» التي وضعت لتنهي درب الآلام، الذي وُضع لبنان واللبنانيون فيه منذ عشر سنوات.

★ ★ ★

أمس خاطب عميد السلك الدبلوماسي المونسنيور لوتشيانو انجيلوني الرئيس الجميل بالقول:

«طلبت من العالم أن يعطيك السلام... نتمنى سيدي الرئيس أن تمنحك اياه السماء»...

هذا الكلام صحيح، فالعالم لن يعطي اللبنانيين السلام، ما لم يقرروا هم أخذه، وبعضهم لن يقرر أخذ السلام، ما لم تتدخل السماء في العقول المتمسكة بالقياسات الضيقة لوطن يجب أن يكون على قياس كل اللبنانيين.

(٧ كانون الثاني ١٩٨٤)

رئیس المفاجآت

عندما تولى الشيخ أمين الجميل قيادة البلاد قبل عام، قال رئيس الكتائب: « يجب أن يكون الإنسان فدائياً لكي يتحمل مسؤوليات رئاسة الجمهورية في هذه الظروف ».

طبعاً في وقفة العام الأول من العهد لا يستطيع الإنسان أن ينصف أمين الجميل من خلال تعداد المحطات المنيرة التي سجلها في إطار ما سماه هو في الأساس « مغامرة الإنقاذ ».

وحده التاريخ سينصف. ووحده سيكمل السجل المدهش للرجل الذي تقدم إلى « المهمة المستحيلة »، والتي أصبحت الآن وبعد عام واحد من ولايته أقل استحالة مما تصوَّر الكثيرون محلياً وإقليمياً ودولياً.

ماذا تسلم أمين الجميل، قبل عام من الزمن؟

تسلم مسؤولية وطن مثخن بالجراح يعمه الدمار، وتذروه رياح الانقسام، وقد أخذ منه التعب والانهاك مقتلاً بعد سنوات المؤامرة المحنة... وتسلم مسؤولية وطن أصيب بطعنة قاتلة في آماله وأحلامه. وشعب أركن إلى ما يشبه اليأس والانكسار وهو يفجع باغتيال رئيسه الشهيد بشير الجميّل.

تسلّم أمين الجميل كل شيء معنوياً وأخلاقياً، ولم يتسلم شيئاً عملياً وواقعياً. فلا الجمهورية بمعناها الفعلي موجودة، ولا الشعب بمعناه العرفي موجود، ولا الجيش موجود، ولا

الإدارة، ولا المؤسسات، لا الأرض موجودة ولا الشعب حاضر، وحتى الإيمان في نفوس الناس لم يكن موجوداً.

جاء إلى الحكم والمسؤولية التاريخية، وهو لا يملك إلاّ إرادته وتصميمه وإيمانه بالإنقاذ الذي هو نفسه كان يراه مغامرة تقبل النجاح وتحتمل الفشل.

كان مطلوباً من أمين الجميل كل شيء، ولم يكن مسموحاً له حتى بممارسة حقه الإنساني في أن يترك الحزن يأخذ منه، والحزن حاجة تحفظ التوازن الشعوري عند الناس في زمن الفواجع الكبرى.

كان مطلوباً منه أن ينتشل الناس من الحزن واليأس، وأن يزرع فيهم الأمل ويجدد فيهم العزم على إكمال المسيرة... كان الوطن مفجوعاً برئيسه الشهيد، لكن أمين الجميل كان مفجوعاً بشقيقه الشهيد، ولم يكن مسموحاً له حتى بالحزن، وقد باتت الدفة بين يديه.

وبدأ «مغامرة الإنقاذ». ربما من منطلق ذاتي بحت جعل الرد على الفاجعة يتخذ شكل «الثأر الإيجابي» بالإستماتة في الإنقاذ، وفي انتزاع الوطن والمواطنين من أنياب اليأس.

★ ★ ★

عام مضى، وأمين الجميل لا يملك حتى فرصة التقاط الأنفاس، وهو يناضل في طاقة لا يملكها إلا القلائل من أصحاب الإيمان الكبير بالوطن وإنقاذ المواطن، وخلق الدولة الجديدة التي نريدها جميعاً.

وليس من الضروري الوقوف في المحطات التي أرساها، وتعداد الخطوات التي مشاها في « مغامرة الإنقاذ »، فتلك طريقة تقليدية جداً في عرض المنجزات، وأمين الجميل رئيس استثنائي جداً، في وطن ممزق لا ينقذه إلاّ الاستثناء.

الآن وبعد عام من تسلمه المسؤولية، يمكن القول: كان لدينا رئيس موجود لوطن مشكوك في وجوده فأصبح لنا رئيس موجود لوطن موجود، يؤكد وجوده كل يوم، من خلال ذلك الصراع القاسي والمستمر الذي تفرضه المؤامرة البشعة على لبنان.

الآن لدينا دولة قوية وشرعية قوية. وعندنا وحدة وطنية ثابتة وراسخة ومتنامية على رغم أن المؤامرة على لبنان سلكت دائماً طريق تفتيت هذه الوحدة وإلغائها والحيلولة دونها.

والآن للوطن اللبناني جيشه الباسل الثابت الذي يكتب معمودية الدم دفاعاً عن الأرض والمستقبل، ولم يكن مسموحاً لنا بقيام جيش يتخطى حدود الفياضية.

والآن لدينا تأييد إقليمي واسع ومتزايد، ليس من الضروري شرحه وإيضاحه... ولدينا دعم دولي من أكبر الدول في العالم الديمقراطي، الذي ألزم نفسه قضية إنقاذ لبنان وإخراجه موحداً سيداً مستقلاً في كل شبر من أراضيه.

وإذا كان أمين الجميل يقود « مغامرة الإنقاذ » الفذة، من مساحة ٢٠ في المئة من الأراضي اللبنانية، بينما ٨٠ في المئة خارج سيطرة الشرعية، إلاّ أنه ينطلق من مساحة ٨٠ في المئة

من نفوس اللبنانيين وتأييدهم، بينما ٢٠ في المئة أو أقل لا تزال في كنف الاحتلال.

لقد ربح الرئيس أمين الجميل معركة تحرير النفوس، وتحرير الإنسان في لبنان، وهذا هو الأهم، فمن يحرر البشر كفيل بتحرير الحجر.

وفي أي حال، إن معطيات الصراع العسكري والسياسي المحتدم في هذه الأيام، تؤكد أن الرئيس كسب رهانه الكبير والمدهش الذي اتخذه في أشد الساعات صعوبة وتعقيداً، وهو رهان التمسك بلبنان الـ١٠٤٥٢ كلم٢، في معزل عن كل ارتهان إقليمي.

عام مضى على الولاية، والمعركة ترسم في كل يوم حدوداً أوسع لحجم الانتصار والإنقاذ، والصراع لم يعد في إطار المفهوم الجغرافي والإقليمي، وإنما بات صراع الحرية ضد العدوان، والإستقلال ضد الاحتلال، والمستقبل ضد الضياع.

★ ★ ★

من أين جاء كل هذا، وكيف حصل ما حصل، اسألوا أمين الجميل، فقد بدأ عهده بالمفاجآت، ولم نر من مفاجآته بعد سوى القليل.

(٢٣ أيلول ١٩٨٣)

الإنتحار الممنوع

« ... أناشد الجميع وقف هذا التسابق الى تقاسم البلاد، كما لو أنها تركة ضائعة، فلن يخرج أحد من هذا السباق المجنون رابحاً أو منتصراً، وأملي في أن تستيقظ الضمائر قبل اكتمال الكارثة ».

لعل هذه الصرخة التي أطلقها رئيس الجمهورية أمس، الأصدق تعبيراً عن الواقع المأسوي الذي يمر فيه الوطن اللبناني، وهي ناقوس الخطر يقرعه الشيخ أمين الجميل في وقت تتكرس فيه الحكمة التي تقول: « عبثاً تخلص من لا يريد أن يخلص نفسه ».

وهي صرخة العقل في وسط جنون التسابق الانتحاري إلى الكارثة الذي ينشط فيه البعض، متصوراً أو متخيلاً أنه يحقق المكاسب، في حين ستعود المكاسب الحقيقية في النهاية إلى خارج لبنان واللبنانيين، والأضرار الحقيقية ستقع على لبنان واللبنانيين.

إن الابعاد الحقيقية للكارثة التي ألمح إليها الرئيس لم تعد خافية على أحد، فلبنان يخضع أرضاً وشعباً لثلاثة احتلالات تسيطر على الأرض والقلوب والعقول، وخلاص الوطن والمواطن لا يمكن أن يتم إلا من خلال اجماع عميق وثابت يتبلور في موقف لبناني واحد، وقرار واحد في مواجهة المآرب والأطماع التي تمزق الوطن.

وإن الكارثة في نهاية الأمر، لن تترك بصمات الألم والتمزق إلاّ في جسد هذا الوطن، وفي صدور هذا الشعب، وان مخالب التمزق لن تصيب أحداً في العالم ولن تخدش أحداً في الدنيا غير اللبنانيين، يوم ـ لا سمح الله ـ ينامون على وطن ويفيقون على تشرّد، يمسون على كيان ويصبحون على ضياع.

إن ضياع لبنان لا يسبب الوجع للسوري ولا للإسرائيلي ولا للأميركي ولا لأي مواطن آخر في أي دولة أخرى، لكنه سيسبب ما يشبه الموت الحقيقي لكل اللبنانيين من دون استثناء.

وفي استطاعة كل من يحمل الهوية اللبنانية، أن يغمض عينيه لحظة وجيزة، وأن يتخيل أنه بات من دون وطن، وأنه مثل كل ابناء الشعوب التي ابتلعها العدوان، إنسان بلا لون ولا طعم ولا رائحة، إنسان فقد الجاذبية، وفقد الإنتماء، وفقد الكيان، وفقد المعنى.

كثيرون يعرفون هذه الحقائق ويتألمون من أجلها، وكثيرون يدركون مدى التمزق الذي يصيب الوطن والمصير من جراء التجاذب الإسرائيلي ـ السوري، وكثيرون ترتعد فرائصهم وهم يتذكرون كلام جورج شولتز عن قيام إسرائيل كبرى وسوريا كبرى على حساب لبنان الصغير.

★ ★ ★

لكنه، يكاد يكون وحده.

وحده تماماً رئيس الجمهورية يتحمل العبء المصيري ويواجه هذه المحنة التاريخية التي تعصف بالوطن والمستقبل...

وحده يمسك بأثقال الكارثة ويجذب إلى فوق ويمنع لبنان من السقوط إلى هاوية الاقتسام والتقاسم... وحده يريد انتزاع لبنان من إسرائيل ومن سوريا ومن الفلسطينيين، في وقت يشد البعض في اتجاه سوريا وإسرائيل والفلسطينيين، وفي وقت لا تزال المبادرة الأميركية، في داخل مختبر الأعاجيب في واشنطن تحاول مزج زيت لبنان بماء إسرائيل وبعكر سوريا في إطار حل أسطوري لسنا ندري هل هو ممكن.

وحده يقول ويفعل في إطار قناعة مطلقة بأن لبنان ليس تركة ضائعة، وبأنه يجب أن يخرج سالماً وموحداً من براثن الأطماع الإقليمية.

وحده لأنه في المسؤولية التاريخية مع دولته وحكومته وإدارته ومؤسساته، بينما نحن والآخرون في ترف التنظير وتفصيل الآراء، أو في صغائر السعي الرخيص إلى استرضاء الشارع وأهل الحارة، كما يُظهر بعض الأصوات والوجوه.

★ ★ ★

وما فعلته «مغامرة الإنقاذ» حتى الآن ليس بالقليل، خصوصاً أن الدولة تعمل لإنقاذ البلاد على رغم بعض البلاد...

والتحدي، ان أمين الجميل يريد إنقاذ المنتحرين ولو بالإكراه.

(١٩ تشرين الأول ١٩٨٣)

الانقـاذ بالاكراه ...

« ... انني أتسلم الرئاسة، والوطن في حال من العناء والعياء، وحدته حقيقة في الضمائر، وواقعه تمزق على الأرض وتشتت، تتجاذبه الاطماع وتتقاذفه الأهواء، تعصف به الأحقاد، وتقوم الحواجز بين أبنائه... اننا أمام تحديات مصيرية لا بد من مواجهتها، وأنا مصمم على تأدية واجبي كاملا في قيادة مسيرة الخلاص».

كان هذا وعد الرئيس أمين الجميل للوطن المتهالك تحت ركام سنوات المحنة الدامية، أطلقه في جلسة القسم الدستوري في ثكنة الفياضية في ٢٣ أيلول من العام ١٩٨٢.

هذا الوعد اختار له الرئيس عنوان « مغامرة الإنقاذ » منذ اللحظة الأولى. ربما لأنه كان يعرف تماماً منذ أصبحت السلطة بين يديه، كم ستكون عملية الإنقاذ صعبة في حضور ذلك الطغيان الإقليمي على شؤون البيت اللبناني، وهو طغيان استفحل شره منذ سنوات، فدمر البشر والحجر على حد سواء.

« مغامرة الإنقاذ »؟

نعم، فالمسؤولية جسيمة إلى حد أن ملامح المغامرة فيها تغلب على ملامح الإنقاذ، وأن الشيخ بيار الجميل وحده منذ اللحظة الأولى، كان يدرك هذا الأمر، فاعتبر أن الكتائب في انتفاضتها المستمرة لإنقاذ لبنان، قدمت رئيسين شهيدين في

شهر واحد: شهيد في السماء كتب فعل إيمانه بالوطن بدمائه وحياته، وشهيد في بعبدا يكتب فعل الإيمان هذا، وهو على صليب لبنان.

★ ★ ★

« ان كنت ابن الله حقاً، خلص نفسك وخلصنا ».

هذا ما قاله اللبنانيون كل اللبنانيين لأمين الجميل حتى الآن. ولكن أمين الجميل ليس المسيح، ولا هو ابن الله، ولسنا في زمن المعجزات الإلهية...

وجاء وقت، كنا جميعاً من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ومن غرب الوطن إلى شرقه، أولئك الفريسيين، نقامر على ثياب الوطن، ونضع إكليلا من الشوك فوق رأس الشرعية، ونغرز رمحاً في خاصرة الدولة.

ولكن الرئيس المصلوب على خشبة القسم الدستوري، أو « الشهيد الحي » كما يقول رئيس الكتائب، استمر في فعل إيمانه ليخلص لبنان، في إطار تلك المغامرة العنيدة، « مغامرة الإنقاذ » في وقت يتحول الإنقاذ معجزة أو أكثر، لأنه بات « إنقاذاً بالاكراه ».

★ ★ ★

« والإنقاذ بالإكراه » هو ما يحدث منذ شهور عدة. وإذا كان من الممكن أن تنقذ إنساناً يمد اليك يد الخلاص فمن الاعجاز أن تنقذ إنساناً يلقي بنفسه في الهاوية... ففي الوقت الذي تتعاون القوى الإقليمية والمعادية للوطن، في دفع الكيان

اللبناني إلى هاوية الضياع والتشتت والتشرذم والإنقسام، يجاري اللبنانيون هذه القوى في المؤامرة، فيسهلون لها وعليها طريق تفتيت البلاد، ويصبح على الشرعية، أن تنقذ لبنان مرتين: مرة من أعداء لبنان ومرة من أبناء لبنان.

انها عملية «الإنقاذ بالاكراه» تلك التي يخوضها أمين الجميل في هذه الأيام، متسلحاً بعناده وإيمانه وولائه العميق للوطن، وحرصه على استعادة وحدة البلاد والعباد على رغم الصعاب والعوائق المخيفة.

والفاجعة حتى الآن، أن أمين الجميل الذي شرّق وغرّب مبشراً بلبنان الواحد الموحد السيد الحر المستقل، وجد أن اللبنانيين أنفسهم مستمرون في الإنتحار الذاتي، وهم يقدمون إلى الشرق والغرب ما ينقض البشارة بالوطن اللبناني.

★ ★ ★

انها حرب الرئيس يخوضها متسلحاً بإنجازات حققها على رغم الكارثة. فملامح الوحدة الوطنية واضحة وثابتة على رغم كل الضغوط الخارجية والتدخل الإقليمي ومساعي الشرذمة والتفتيت، وقيام الجيش اللبناني الفتي المقاتل والقوي حقيقة دامغة تشكل تعبيراً عملياً عن رسوخ هذه الوحدة، ربما لأن الجيش هو بوتقة الوحدة الوطنية، ومنبرها العملي الوحيد.

انها حرب الرئيس، وهي حرب كل زمان ومكان، يشنها على جبهات الداخل والخارج وبكل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية، في محاولة عنيدة لتحويل الإنقاذ من معجزة إلى حقيقة.

وعملية الإنقاذ بالإكراه، تتم في كل الاتجاهات محلياً وإقليمياً ودولياً، ربما لأننا على المستوى المحلي نجد أنه لم يعد من الممكن تخليص لبنان، إلا بإكراه البعض على عدم الاندفاع إلى الهاوية والانتحار، وعلى المستوى الإقليمي نجد انه لا يمكن إنقاذ الوطن، إلا بإكراه كل القوى على نزع مخالبها من جسده المنهك، وعلى المستوى الدولي نجد انه لا يمكن تخليص البلاد، إلا بإكراه كل القوى على الانتقال من موقع المتفرج على مأساة لبنان، إلى موقع الساعي إلى إنهاء المأساة.

● محلياً؟

انها عملية لملمة شظايا الوطن المتناثرة، وإعادة دمجها وتركيبها على صورة لبنان الذي نريده جميعاً. ففي الضاحية والجنوب والبقاع من يريد لبنان على طريقته الخاصة التي لا تناسب الآخرين، وفي الغربية وطرابلس وصيدا من يريده على طريقته التي لا تناسب أهل البقاع والجنوب، وفي الجبل من يريده بطريقة لا تناسب الجنوب والشمال والبقاع وكسروان، وفي كسروان والمتن من يريده بطريقة لا تناسب الآخرين.

... وفي بعبدا من يسعى إلى توحيد إرادة الجميع في رؤياهم للوطن اللبناني، ربما لأن استمرارهم في العمل للبنان الذي يريدون وفي الشكل الذي يريدون، يسيرون هم ولبنان إلى الإنتحار والإندثار، ويجب إكراههم على عدم الاندفاع في هذا الجنون المطبق.

فليس لبنان وطن الشيعة فحسب، ولا وطن السنة ولا وطن الدروز، ولا وطن الموارنة، انه وطن هؤلاء جميعاً، لكن قبل

الخلاف على شكله ومستقبله، تتوجب استعادته ولملمة أجزائه المسلوخة في الجنوب والبقاع والشمال... وإلا لن يبقى هناك وطن لأحد، ولا هوية لبنانية لأحد.

• إقليمياً؟

انها عملية انهاء الاحتلالات، التي تستمر في السيطرة على البلاد والعباد في وقت واحد. وهي العملية التي تهدف إلى إخراج لبنان من التنازع الإسرائيلي - السوري.

ومأساة الأعوام الماضية جعلت الوطن مشدوداً من ناحية إلى دخول «العصر الإسرائيلي»، ومن ناحية ثانية إلى دخول «العصر السوري»... ومن ناحية ثالثة إلى الغرق في مستنقع الفوضى المسلحة التي أرساها الفلسطينيون.

• دولياً؟

انها عملية تأكيد ضرورة استمرار الوطن اللبناني، وضرروة بقاء الهوية اللبنانية، ليس لأن انهيار لبنان سيكون فتيل التفجير الذي سينسف أنظمة المنطقة ودولها، وإنما لأنه سيكون القنبلة الكبرى التي ستدمر مصداقية العالم، خصوصاً العالم الغربي الغارق في الوهن والتراجع، وستدمر البقية الباقية من أخلاقية الغرب، الموضوعة في الإمتحان عندنا اليوم.

وهنا أيضاً يصبح «الإنقاذ إكراهاً»، ربما لأن المطلوب من الدولة اللبنانية، أن تكره الغرب على إدراك الأبعاد الحقيقية «للقضية اللبنانية»... فلا منطق برتيني المغرق في السطحية الاشتراكية، ولا منطق ايرنو الغارق في

« الميكيافيلية النفطية » المثيرة للشفقة، ولا منطق بعض السياسيين الأميركيين الغارقين في عقدة الانعزال الأميركي الموروثة من فيتنام، ليس هذا المنطق الغربي الذي يعكس انهياراً في القيم والأخلاق والقوة الكونية، هو الذي ينقذ لبنان وشرف العالم، وإنما المنطق الذي استعمله الرئيس أمين الجميل في مخاطبة الغرب وزعماء العالم.

★ ★ ★

وإذا كان الرئيس الأميركي السابق ريتشارد نيكسون يقول: « ان سلام العالم يتقرر الآن في لبنان »، فمن الجدير بالملاحظة، ان سلامة لبنان وسلام العالم، هما في إطار من التبسيط مغامرة يخوضها العهد في عناده لتحقيق الإنقاذ ولو... بالإكراه.

(٣ كانون الثاني ١٩٨٤)

لبنان
في غرفة العمليات

أمس زفت الدولة المواطنين بشريين.

فإذا كانت إعادة فتح المطار ابتداء من يوم غد الخميس هي البشرى التي تحمل في خلفياتها معالم الانفراج في العاصمة اللبنانية، والتي اعتبرها المراقبون مؤشراً حيوياً على الدخول في مرحلة الحلول الحاسمة والسريعة، فإنها كانت في نظر اللبنانيين منطلقاً لتوسيع رقعة الأمل خصوصاً أن العهد الجديد بدأ فوراً وباكراً باعطاء الثمار، وان الرئيس أمين الجميل وضع عجلة الحلول فوق سكة العمل الجاد والمتواصل... فلا الوطن يتحمل التمهل في المعالجة وحل المشاكل، ولا الرئيس بما عرف عنه، يقبل التمهل والتأجيل، وهو العارف أن ست سنوات في الحكم تكاد لا تكفي لإنهاء طوفان المشاكل والعقد التي يغرق فيها لبنان.

★ ★ ★

البشرى الثانية، التي تفوق في أهميتها قضية إعادة فتح المطار، تمثلت في «غرفة العمليات» التي أنشأها الرئيس الجميل في القصر الجمهوري. والتي تبدأ نشاطها من السادسة صباحاً فلا تتوقف إلا مع الفجر.

«غرفة العمليات» هذه، تشكل المدخل المثالي الى فهم سلوك السلطة اللبنانية الجديدة، التي يقودها رئيس شاب وقوي، يؤمن بمبادىء أساسية في العمل: الجدية والمثابرة،

البرمجة والتخطيط، الإنماء والتحديث، المشاريع والعلمية... فمع أمين الجميل لا مجال إلاّ للحلول والمشاريع والعمل المتواصل، وهذا ما عرفه عنه اللبنانيون وخصوصاً أهل المتن، وقد تحققت المشاريع في منطقتهم على يده، وتتحقق كذلك الأحلام، على رغم سنوات الحرب ومشاكلها.

« غرفة عمليات »؟

طبعاً فالرئيس الجديد يعرف تماماً حاجة الوطن في هذه المرحلة الدقيقة، إلى هذا النوع من الغرف ومن العمليات، ويعرف أكثر أن لبنان في حاجة إلى « العناية الفائقة »، في كل قطاعاته وأوضاعه.

وليست عملية فتح المطار وحل مشكلة العاصمة اللبنانية، هي التي حظيت بغرفة للعمليات في القصر الجمهوري، فالقضايا الأمنية التي أكد عليها الرئيس الجميل في خطاب العهد، لها غرفة للعمليات، وكذلك للقضايا الحياتية والاجتماعية والإنمائية، ولقضايا التأهيل والأعمار والتربية والاقتصاد، والمشاكل الناتجة عن الكارثة التي تعلك الوطن منذ ثمانية أعوام، وما أكثرها.

ويعرف أمين الجميل أن لبنان هو ذلك المريض الذي يعاني سكرات الموت، وأن معالجة أمراضه وجروحه وإصاباته الكثيرة، تحتاج إلى ذهنية الطبيب الاختصاصي الذي يعمل في ثبات وجرأة وسرعة وإتقان، بعيداً عن الضوضاء والأضواء.

وإذا كانت قضية فتح المطار، التي كانت تبدو مستعصية

حتى أمس في نظر الكثيرين، خرجت من غرفة العمليات بمثابة بشرى أولى إلى اللبنانيين، فإن البشرى الحقيقية هي في خلق الغرفة نفسها، التي ستخرج منها كل الحلول الأخرى لمشاكل أكثر حيوية وأهمية من مشكلة المطار.

لقد تسلّم أمين الجميل وطناً ممزقاً ومهدماً ومقطع الأوصال لم يبق في بنيته الاجتماعية والحياتية والاقتصادية والوطنية مكاناً لجرح جديد... لقد تسلم مسؤولية تحتاج إلى أكثر من فدائي وإلى أكثر من طبيب يجترح المعجزات، وإذا كان يعكف الآن على وصل النهار بالليل في داخل غرفة عملياته، التي سيخرج منها لبنان الجديد، فإن على اللبنانيين أن يفعلوا ما هو أكثر من التصفيق إعجاباً، عليهم أن يعملوا ولن يجهدوا.

ألم يبدأ عهده بالقول: الآن بدأ وقت العمل؟.

أليس هذا هو المعنى العميق لمغامرة الإنقاذ؟

(٢٩ أيلول ١٩٨٢)

لبنان المُضيء

« ... إن لبنان قبل كل شيء، هو بلد الروح والفكر. وان رسالتنا وهي ثمرة تاريخنا الطويل وثمرة جهودنا المتواصلة، مبنية على الحرية والتوازن... ونحن أمام إنسانية تقاسمتها الإيديولوجيات المتعارضة ويتملكها العنف والإرهاب... واننا نعمل من أجل إقامة سلام مبني على الحق، حق الإنسان في الحرية والعدل، وحق المجتمعات في تأكيد أصالتها الوطنية ».

هذه الأفكار السريعة والسهلة والواضحة والمعبرة والعميقة، التي وردت أمس في الكلمة الموجزة لرئيس الجمهورية، لمناسبة تسلمه أوراق اعتماد السفير البابوي الجديد، تشكل عنواناً رئيساً وأساسياً لجولته الغربية التي تبدأ غداً.

فالسلام المبني على حق الإنسان في الحرية والعدل، وفي تأكيد أصالته الوطنية، هو الهدف الأسمى الذي يسعى لبنان الخارج من بين الأنقاض، إلى بلوغه. ربما لأن المعنى الإنساني والحضاري للوطن اللبناني، لا يمكن أن يكتمل، إلاّ إذا اكتملت هذه الصورة، التي تبدو فريدة من نوعها في هذا الجزء من العالم.

وهذا السلام نفسه، يجب أن يكون هدف الاهتمام الغربي وخصوصاً الأميركي بالمسألة اللبنانية، لا لأن قدر هذا الوطن أن يعكس هذه الصورة الإنسانية المشرقة إقليمياً ودولياً، وإنما

لأن مصلحة الديمقراطية والحرية في العالم، أن يكون لبنان تلك المساحة المضيئة في منطقة تحتاج إلى نور شمعة يلتمع في آخر النفق المظلم، حيث تسود الديكتاتوريات العسكرية، أو الأنظمة التوتاليتارية.

ولقد كانت الميزات الديمقراطية التي طبعت تجربة النظام السياسي في لبنان منذ عهد الإستقلال حتى بدايات السبعينات، عاملاً أساسياً وجوهرياً كما يقول البعض، في تألب الأنظمة والدول على لبنان، ربما لأنه كان يشكل نقيضاً متفرداً لحال من التعاسة السياسية التي تسود هذا الجزء من العالم، وربما لأنه كان يشكل حجة إيجابية تساق ضد أنظمة المنطقة، عندما تفتح ملفات النمو والتقدم والازدهار والتطور.

وعلى رغم الكارثة الكبرى التي أمسكت بخناق الوطن اللبناني على مدى الأعوام الثمانية الماضية، وعلى رغم كل المؤامرات والحروب الشرسة التي هدفت الى تقطيع أوصاله وإلغائه من الخريطة، يخرج لبنان منتصراً، وانتصاره هو العجب وهو الدرس الفصيح الذي يجب أن يتعلمه اللبنانيون في الدرجة الأولى، والمهتمون بلبنان في الدرجة الثانية.

الديمقراطية والحرية في لبنان، هما في أساس المعجزة التي رافقت خلاص الوطن وانتصاره. ففي المنطقة تذهب أنظمة وتجيء أخرى لمجرد إذاعة البلاغ رقم واحد، وتنهار حكومات وقيادات وتحل في مكانها حكومات وقيادات جديدة لمجرد تحريك هذا اللواء العسكري أو ذاك... ويذهب سلوك سياسي ويحل مكانه سلوك آخر لمجرد احتلال مبنى الإذاعة

والتلفزيون ومحاصرة القصر الجمهوري.

أما في لبنان فإن ثمانية أعوام من الحرب الهمجية التي استهدفت تدمير البشر والحجر، عجزت عن تغيير هوية هذا البلد، وعن إلغاء فرادته وتميزه، وعن طمس وجوده الحضاري والإنساني.

من هنا، ومع الإنتصار اللبناني الذي يشكل مدخلاً واسعاً للإنقاذ والخلاص وإعادة البناء، يجب علينا أولاً كلبنانيين أن نستوعب المعنى الحقيقي لكلام الرئيس الجميل عن سعيه إلى إقامة السلام المبني على الحق، حق الإنسان في الحرية والعدل، ويجب على الذين سيستمعون إليه في الغرب أن يدركوا القيمة الحقيقية للبنان من هذا النوع، يعيد طرح نفسه تجربة مضيئة في المنطقة... ويجب على المنطقة أن تتمثل بالعافية في لبنان، لا أن تتألب عليها.

ولبنان إما ان يكون ديمقراطياً حراً وعادلاً، وإما أن لا يكون... لكنه كائن لا محال.

(١٦ تشرين الأول ١٩٨٢)

الانقاذ
حاجة عربية

إذا كان الرئيس أمين الجميل اختار الأمم المتحدة ليخاطب منها العالم الغربي قائلاً: «أعطونا السلام وخذوا منا ما يدهش العالم»، فإنه اختار المملكة العربية السعودية ليخاطب منها العالم العربي مؤكداً الدور اللبناني الرائد... «من حق شعبي أن ينعم بالأمان والاستقرار، ومن حقه أن يعود إلى الممارسة في بناء الحياة في هذه المنطقة».

وعلى امتداد المسافة من الرياض الى نيويورك مروراً بالمغرب والدول الأوروبية، يواصل الجميل تحركه الحيوي شاهراً سيف القضية اللبنانية، المتمثل في إعادة تأكيد الحضور اللبناني، وهو «في هذا الشرق وفي العالم حضور بناء، وحضور ابداع».

طبعاً قد تكون السعودية أكثر الدول العربية فهماً وتفهماً للقضية اللبنانية، ربما لأن النهج السياسي التي تسير عليه الرياض، ظل دائماً منذ العام ١٩٥٢ وحتى اليوم يتسم بالوعي والواقعية والعقل، على رغم أن المنطقة العربية، عرفت سلسلة من مراحل الاندفاع الأهوج في سياسات التسرع والعصبية والضرب بسيوف سلاطين الخارج في الشرق والغرب على حد سواء.

وإذا كان فقدان العقل والمنطق من الممارسة السياسية في كثير من الدول العربية، هو الذي زج لبنان في «أتون الفتنة

الدامية وما رافقها من الخراب والدمار، إلاّ أن المملكة السعودية، كانت دائماً تدرك الأبعاد الحقيقية للمأساة في لبنان، وسعت بمقدار طاقتها إلى حل المشكلة، لكن منابر الفوضى السياسية في المنطقة، تمكنت من أن تطغى على صوت الأتزان.

وفي القاموس السياسي المعتمد في أوساط المحللين في الشرق الأوسط، أن لبنان كان ولا يزال وسيبقى، خط الدفاع الأول عن أنظمة الخليج. وقد اتخذت هذه النظرية مصداقية قصوى عندما تحول هذا البلد قاعدة رئيسة للفوضى المسلحة جمعت في صفوفها شذاذ الماركسية والإرهاب، وجعلت من عناصر الفتنة والسلبية الهاربة من الدول العربية، رموزاً للتآمر وتخطيط التخريب ما بين المحيط والخليج.

وقد كان الزعماء السعوديون أكثر المسؤولين العرب قلقاً، لما يحصل في لبنان، وكانوا في طليعة الذين أدركوا مخاطر تحول لبنان... إلى الفوضى المسلحة وقد حذروا دائماً من أن سقوط لبنان، يعني سقوط المنطقة في الفوضى والإرهاب.

من هنا زيارة الرئيس الجميل المصمم على الإنقاذ، للرياض تكتسب أهمية حيوية في هذه المرحلة الدقيقة من مسيرة الانقاذ، لا لأن السعودية هي عقل الخليج وقلبه، ولا لأنها بيضة القبان العربية في السياسة الأميركية، وإنما لأنها كما أدركت في السابق مخاطر الأخطاء السياسية العربية في لبنان، تدرك الآن مغبة الاستمرار في ركوب الأخطاء، وما يمكن أن تؤدي إليه.

في كلام أوضح، أن قضية الإنسحابات من لبنان، التي

تشكل قراراً نهائياً ثـابتـاً عنـد الدولـة اللبنـانيـة، تجد تفهماً موضوعياً وواقعياً عميقاً عند السعوديين.

ومن خلال هذه النقطة بالذات، كان حديث الجميل عن «ان المساهمة في إنقاذ لبنان باتت حاجة عربية... ونحن لا نوفر قوة إلاّ ونعمل على تخليصه من لعبة الصراعات المتوازنة في المنطقة».

صحيح، ففي استطاعة العرب الذين هزموا عسكـريـاً في لبنان، أن ينتصروا سياسياً في لبنان.

(١٦ تشرين الثاني ١٩٨٢)

... الانقاذ
خطوة خطوة

في استطاعة الذين يحصون على العهد أنفاسه ونحن منهم، والذين يطلبون منه، ما لا يطلبونه من أنفسهم حتى... في استطاعة هؤلاء أن يبدأوا بتغيير الشعار، الذي اختاره أمين الجميل مدخلاً لعهده.

وإذا كان رئيس الجمهورية قد تسلّم مسؤولية البلاد في ٢٣ أيلول الماضي، وهو يعدنا «بمغامرة الإنقاذ»، فإن ما حدث وتحقق منذ ذلك الموعد القريب، أسقط أو يكاد، صفة «المغامرة» عن عملية الإنقاذ، ربما لأن في «المغامرة» قدراً من احتمالات الفشل والتعثر.

فمن خبطة تشكيل «حكومة العمل»، إلى فتح ملف الأزمة اللبنانية، في إطار مرافعة دولية إقليمية بارعة، قدمها الجميل من واشنطن إلى الرياض، إلى المقررات الصادرة عن مجلس الوزراء أمس، سقطت صفة المغامرة، وأصبح الإنقاذ عملاً يومياً واقعياً، ملموساً ومضموناً.

طبعاً من المبكر الحديث عن ما تحقق أو أنجز، ربما لأن ما حصل حتى الآن هو عنوان تمهيدي لفصل طويل مسهب ومشبع، سيكون في وسعنا مطالعته تباعاً، وربما لأن ضخامة الكتاب المطلوب من العهد، تجعل مقدمة الشهرين الماضيين على أهميتها، مجرّد مدخل أو مجرد عنوان تمهيدي.

ولكن، يبدو من الثابت حتى الآن، أن أمين الجميل يصعد

درج الإنقاذ خطوة خطوة، وفي ثبات وإصرار الذي يستقل سلماً كهربائياً يصلح للصعود ولا يصلح للنزول. وان طبيعة الوظيفة الإنقاذية تقتضي هذا النمط من السلوك، خصوصاً وأنه يتم فوق أرض مليئة بالألغام سياسياً وأمنياً، محلياً وإقليمياً ودولياً.

ولعل أهم من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وهي عمليـة تجلـت في تعيينـات أمس، ذلـك القـرار الحاسم والواضح الذي يملكه العهد دولة وحكومة.

ففي ما يتعلق بالجيش وهو وسيلة أساسية أولى في الإنقاذ، كان من الضروري والملح أن تبدأ الدولة عملية الإنقاذ بما يشكل وسيلة الإنقاذ، تماماً كما يكون على الصياد الخارج إلى مقاتلة الضواري في الأدغال، أن يعد سلاحه ويتفقـد ذخيرته ويحزم أمره.

والجيش في هذا النطاق، هو تماماً تلك الساحة الحيوية والضرورية من الأرض المحروقة يهبـط فـوقهـا أمين الجميل، فيعيد تأهيلها وإعدادها، لتكون قاعدة ينطلق منها وبها، في مهمته لإعادة تأهيل ما يتبقى من الساحة جغرافياً وبشرياً.

طبعاً الجيش كمؤسسة وكقاعدة، يضج بالحيوية وبالحياة وبالعافية أيضاً، ولكن الحواس القيادية وقد اتعبتهـا سنـوات التشكيك من هنا، والمطالبة بالتوازن من هناك، الإتهامات من هنا والتجنيات من هناك، الضغوط من هنا والمحسوبية من هناك، هذه الحواس هي في حاجة إلى تنبيه وإلى تنشيط، وإلى ربط في إطار عصب واحد وموجه واحد وقضية واحدة، هي

عصب لبنان وقضيته... وإذا كان خراب لبنان عملياً قد تحقق يوم تعطلت حواس الجيش فتجمد جسده وانهار، فإن إنقاذ لبنان لا يمكن أن يتم إلاّ بعد عودة الجيش جسداً حياً يدب عافية ويقظة ونشاطاً.

ان الحكم يعرف ماذا يريد وإلى أين يذهب، ومن حقه أن يعد سلاحه ويتفقد ذخيرته ويحزم أمره، ان مهمته هي الإنقاذ، وسلاحه العملي في هذه المهمة الشاقة هو الجيش.

والإنقاذ لم يعد مغامرة، وإنما مجموعة من الخطوات الثابتة الحاسمة والمتلاحقة.

(٩ كانون الأول ١٩٨٢)

... إِحْفَظوا
هَذا التاريخ

٢٣ أيلول ١٩٨٢. احفظوا هذا التاريخ، وتوقفوا في هذا اليوم، توقفوا اليوم... فكروا واتعظوا.

هو ليس موعداً يطل كعادته علينا كل ست سنوات، وهو ليس يوماً للتسليم والتسلم، ولا هو نهاية عهد وبداية عهد جديد، ففي لبنان لم يعد مسموحاً لأحد ممارسة الترف السياسي، فعهد «مات الملك عاش الملك» ذهب مع الانقاض التي تملأ زوايا البيت اللبناني.

هو مفترق تاريخي ومنعطف حاسم على مستوى الوطن والمواطن، وانتقال مصيري من مجرى ومسلك ونهج، إلى مجرى ومسلك ونهج، الأول انتهى بالدم، أما الثاني فيجب أن يبدأ بالعافية وأن يستمر بها إلى ما لا نهاية.

٢٣ أيلول ١٩٨٢، هو مفترق أسطوري، أنه برج ينتصب في وسط تقاطع الطرق، يدخله اللبنانيون اليوم، ومن خلاله يطلّون على الماضي، يلمسون الحاضر ويقرأون المستقبل... هو كتاب ضخم نقرأ فيه فصول الوطن اللبناني الذي ذهب وانقضى، ونكتب فيه فصول الوطن الجديد الذي لن يذهب أبداً، ولن يعرف الانقضاء.

انه مفترق نطل منه على أربعة عقود من الزمن بنينا فيها وطناً وجعلناه في مهب الريح والأهواء. فانتهى بمسرحية الدم

التي علكتنا منذ ثمانية أعوام، حيث كان الفصل الختامي فيها ذلك الثلاثاء الصاعق الأسود الفاجع.

انها حقبة الجمهورية الأولى، التي انتهت بالكوارث، فإذا كان غياب بشير الجميل الكارثة الكبرى. فإن في كل بيت لبناني كارثة تثقل كاهله، وفي كل سطر من سطور الذاكرة عند الرئيس الياس سركيس الذي أنهى ولايته ويسلم الأمانة اليوم، طعم الكارثة ولونها. وهو الذي بكثير من الشقاء والألم والمرارة والصبر والصمت المرهق، لعب دور الأطفائي وقد حاصرته نيران الداخل والخارج، لكنه تمكن على رغم انعدام الوسائل، من أن يحفظ السقف من السقوط.

وعلى رغم المرارة والدموية والألم، التي رافقت نهاية الجمهورية الأولى، إلا أن فداحة التجربة التي أصابت اللبنانيين جميعاً، صقلتهم وطهرتهم وجعلت منهم العنصر الحي، الذي سيكون عنصر الوطن الجديد، لبنان القوي، السيد، الحر، الديمقراطي، المنفتح، الرائد.

★ ★ ★

٢٣ أيلول ١٩٨٢، عنوان مضيء في تاريخ لبنان. حيث تبدأ اليوم عملية بناء الوطن الجديد، ويباشر الرئيس أمين الجميل مهماته الكبيرة والجسيمة، في الإنطلاق قدماً في قيادة مسيرة الإنقاذ والبناء ووضع الأسس الصلبة والثابتة موضع التنفيذ. أنه تكراراً، الفدائي الجديد، يخلف شقيقه الفدائي الشهيد، في قيادة تلك الورشة الكبرى لبناء الوطن المتجدد.

٢٣ أيلول ١٩٨٢، بداية الجمهورية الثانية، ووضع حجر

الأساس للوطن الذي يريده اللبنانيون خيارهم الحضاري وإلانساني، وانتماءهم الحياتي والكياني، الآن وفي كل أوان.

وعندما ينتهي الرئيس الشيخ أمين الجميل اليوم من أداء قسمه الدستوري، يجب أن تقرع في داخل كل منا صفارة الإنذار، بأن العمل بدأ، والورشة انطلقت. وبأننا بدأنا سباقاً قاسياً مع الزمن، يجب أن نفوز به، فيكون لنا الوطن الذي حلمنا به مع بشير، ونطمئن به وإليه مع أمين.

احفظوا هذا التاريخ، اليوم تبدأ الجمهورية الثانية، والرئيس الجديد يطلب من اللبنانيين جميعاً التعب والعرق والجهد، ليعطيهم الوطن واستقرار المستقبل وضمان المصير.

ولنكن جميعاً على قدر التحدي، أو في مستوى العبرة التي ورثناها من تركة الأعوام الثمانية الدموية.

(٢٣ أيلول ١٩٨٢)

ثورة الوطن
وثورة المواطن

« ... علينا أن نستحق لبنان لنستعيده، علينا أن نرجع إليه لنسترجعه. ولقد كفانا غربة واغتراباً، كفانا هجرة وتهجيراً. واليوم موعدنا مع العودة الجماعية إلى لبنان، إلى الأرض الطيبة المعطاء إلى النهضة الكبرى ».

بهذه الكلمات الصريحة والمعبرة بدأ الرئيس الشيخ أمين الجميل عهده أمس، وبدأت مرحلة الجمهورية الثانية في لبنان الذي لم يكن منتصراً كما كان أمس، ولم يسبق أن كان عظيماً وثابتاً كما كان أمس.

انه الإعجاز في القوة وفي الصمود وفي البقاء، ذلك الذي تجلّى أمس من خلال عملية الانتقال الدستوري، يتم في إطار من الديمقراطية المثيرة للدهشة، وبعد سنوات من الدماء والدمار والمؤامرات والحروب التي استهدفت لبنان والديمقراطية اللبنانية، فلا قدرت أن تنال من الوطن ولا استطاعت أن تنال من الديمقراطية، ولسنا ندري من حفظ من، الديمقراطية حمت لبنان وحفظته، أم أنه حماها وحفظها.

في أي حال، كان لبنان أمس مثل طائر الفينيق الأسطوري يخرج من رماده متجدداً، وينبثق من رميمه معافى، ليبدأ مرحلة جديدة من تاريخه المليء بالأخطار والحافل ببطولات الشهادة.

والترجمة السياسية للإنتصار اللبناني أمس، هي في بساطة

واختصار، أن عشر سنوات من المحاولات العنيفة لالحاق لبنان بالنهج السياسي للمنطقة قد فشلت، وان عشر سنوات من محاولات ذبح الديمقراطية في لبنان، انتهت برد السكين إلى عنق الجلادين، حيث انتصر لبنان وانتصرت الديمقراطية فيه.

وإذا كان لبنان في جمهوريته الأولى التي أسدل عليها ستار التاريخ، ملطخاً بدماء الفصل الختامي قبل أسبوعين، قد أزعج المنطقة، لأنه كان يشكل نقيضاً سياسياً لها لجهة نظامه وديمقراطيته، فردت على الازعاج بجعله ساحة للصراعات والحروب والتناقضات... فان لبنان في جمهوريته الثانية التي بدأت أمس، سيعدي المنطقة ديمقراطية وحرية وسيادة، لأن من شأنه أن يكون وطناً نموذجياً حضارياً متقدماً شاباً وقوياً، يغري الكثيرين بأن يقلّدوا تجربته العظيمة، وإلاّ فما معنى ذلك الدور الطليعي في المنطقة، الذي أشار إليه الرئيس اللبناني الجديد.

★ ★ ★

في أي حال، لم يكن الرئيس الشيخ أمين الجميل في حاجة أمس إلى تقديم برنامج لعهده، ربما لأن الخطاب الذي بدأ به ولايته يشكل برنامجاً في حد ذاته، يمتد من هموم الأمن ووقف دورة العنف والنزف، إلى هموم إرساء قواعد الدولة الحديثة في وطن نموذجي رائد ومتميز يحلم به جميع اللبنانيين.

وربما لأن الرئيس الجديد تسلّم باليدين معاً، تسلم باليمنى وهي عنوان القوة، الوطن اللبناني أمانة من الرئيس سركيس، وتسلم باليسرى وهي اللصيقة بالقلب والوجدان، القضية

اللبنانية عهداً من شقيقه الشهيد بشير الجميل.

الوطن والقضية في الأيدي الأمينة، وأول سطور الجمهورية الثانية كتبت أمس بانتصار الديمقراطية. وأول فصول كتاب لبنان الجديد العظيم بدأ تحت عنوان « مغامرة الإنقاذ »، التي هي ثورة الوطن للخروج من المأزق، وثورة المواطن لبناء وطن أفضل.

المسيرة بدأت وكلنا في خدمة الوطن ورئيسه، الى أن يصبح لبنان استحقاقاً حضارياً وإنسانياً فريداً، كما قال أمين الجميل.

(٢٤ ايلول ١٩٨٢)

كان مَفقودًا
فوُجِدَ...

رحلة المحطات الخمس، التي يبدأها الرئيس أمين الجميل اليوم، هي الخطوة الأساسية الأولى في مسيرة إعادة تأكيد الحضور اللبناني في العالم، وفي ترسيخ الشرعية الدولية للوجود اللبناني، وقد ظهرت من خلال الإجماع على دعم هذا الوطن في الأشهر الأخيرة.

في استطاعة الوفود التي ستستمع إلى الرئيس الجميل يلقي كلمة لبنان في الجمعية العامة للأمم المتحدة، أن تقول: لقد عاد الوطن الصغير الشاطر، كان مفقوداً فوجد، وكان ميتاً فقام، وكان سجيناً فحطم قيوده، وعاد لتأكيد دوره ووجوده، ولإثبات هويته المتميزة عن هويات الآخرين في منطقة الشرق الأوسط.

وفي استطاعة مندوبي الدول، التي عرفت الحروب وكوارث التدمير والخراب، أن يفهموا المعنى الحقيقي للبنان، الذي ينهض ويقول: «أنا هنا»، على رغم ثمانية أعوام من الحرب، تساوي في مدتها زمن الحربين الكونيتين معاً، وحتماً، ليس في استطاعة الدول العملاقة أن تتحمل جزءاً مما تحمله هذا البلد.

الولد الشاطر على كف «مغامرة الانقاذ» يعود إلى الأسرة الدولية، قوياً واضحاً وصريحاً ليؤكد أن في استطاعة الشعوب الصغيرة، أن تنتصر على المؤامرات الكبيرة، وأن تؤكد حقها في الحياة والسيادة والوطن والمصير، على رغم اتساع حلقات

الذين تألبوا على هذا الحق. وحاولوا في شكل مباشر أو غير مباشر شطبه من الوجود.

وفي استطاعة الوفود التي ستستمع في شغف إلى الرئيس اللبناني، في الأمم المتحدة، أن تستعيض عن ذبح العجل المسمن تكريماً لعودة الوطن الصغير الشاطر، بالعناية والدراية والحدب والاهتمام توليها لهذا الوطن الذي يستحق الإعجاب.

وإذا كانت المحطة الأولى في رحلة الرئيس، تتمثل في إعادة غرز العلم اللبناني خفاقاً فوق منبر الأمم المتحدة، وفي إعادة تأكيد الأهمية الجوهرية والحيوية لدور الوطن الصغير في المنطقة والعالم، فإن المحطة الثانية في البيت الأبيض، لا تقل أهمية عن الأولى، لا بل أنها على قدر أكبر من حيث البعد السياسي، خصوصاً إذا تذكرنا الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة الأميركية في معالجة الأزمة اللبنانية.

لقد كان لبنان دائماً معدوداً على أميركا، ربما لأن نظامه السياسي يصنفه في صف الدول ذات الديمقراطية البرلمانية الحرة، ولأنه كان معدوداً على أميركا تحمل الكثير من الاتهامات والطعنات لا بل انه تحول هدفاً يستأهل الهدم والتخريب نكاية بواشنطن، وخصوصاً بعد اتفاقات « كامب ديفيد ».

كان معدوداً على أميركا، وعلى اسمها شن الكثيرون الحرب عليه، بمن فيهم أميركا نفسها، التي اعتبرته في وقت من الأوقات، رقماً زائداً يمكن حذفه وإلغاؤه لتسوية مسألة الشرق الأوسط... وسقطت حسابات الجميع وانتصر لبنان، انتصر

طائر الفينيق في إعجاز اسطوري، لأن الدفاع كان دفاع الذين يحاربون لتأكيد حقهم في الحياة والوجود.

ومن خلال هذا، تصاغ العلاقات الأميركية ـ اللبنانية الجديدة، علاقات التوكيد على أن الديمقراطية والحرية أينما كانتا ملزمتان بالديمقراطية والحرية الأخريين أينما تكونان، والإلتزام هنا يتعدى بيانات الدبلوماسية الى العمل والدعم والمساندة الفعلية.

المحطة الثالثة في باريس والرابعة في روما، تشكلان في معناهما السياسي، امتداداً للمحطتين الأولى والثانية... وأما المحطة الخامسة في حاضرة الفاتيكان، فهي مباركة الحضور اللبناني المتجدد من أعلى مستوى روحي في العالم الغربي.

لقد عاد «الولد الشاطر» الى الأسرة الدولية، ليقدم درساً للجميع في إرادة الحرية والسيادة والبقاء.

(١٧ تشرين الأول ١٩٨٢)

... أبجدية
لبنان الجديد

كانوا يسمعون عن لبنان، وأمس استمعوا إلى لبنان.

كانوا يسمعون بكثير من الضيق وعدم الاحتمال، أخبار الوطن الصغير الغارق في المرض والمشاكل، وأمس استمعوا بكثير من الاهتمام والإعجاب والدهشة، إلى الوطن الصغير يتلو عليهم مطالعة الحرية والعدالة والسلام.

أما صدى ذلك التصفيق المتكرّر الحماسي الطويل، فقد كان بمثابة الإعجاب الطاغي، بما سماه الرئيس أمين الجميل طائر الفينيق اللبناني يولد من رماده، ويطل من أعلى منبر في العالم.

لم يكن أمين الجميل، في خطابه أمس أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وأمام مجلس الأمن ذلك المحامي البارع يعرض قضية الوطن المحقة والعادلة، وإنما كان ذلك الداعية القادم من بعيد، يبشر العالم من منظمته الكونية، بقضية السلام والحق والعدل والديمقراطية، وصناعة أوطان الحرية، وبنهوض المجتمعات البشرية الى مواجهة التحديات المفروضة عليها في إطار الحضارة والعطاء الإنساني.

وكم سيطول إعجاب العالم الديمقراطي الحر بذلك البلد الصغير الكبير الذي عرفه على حقيقته أمس، ربما لأن الحرية والديمقراطية، هما نوع من ممارسة الترف السياسي في

المجتمعات الغربية، بينما كانا في لبنان قضية استشهد من أجلها آلاف المناضلين.

الحرية والديمقراطية والسلام؟

هي الحدود السياسية والأبعاد الكيانية للوطن اللبناني، كما رسمه رئيسه أمس أمام العالم، وفي إطار لوحة بارعة ومثيرة للإعجاب... فالوطن الصغير الذي كان «رقماً زائداً في معادلة الشرق الأوسط» كما تصوروا، والذي كان على مدى الأعوام الثمانية الماضية، بؤرة للمتاعب والمشاكل، أشرق على حقيقته الناصعة، فإذا به يمثل في معاناته الطويلة، قضية ذات أهمية كونية مطلقة، تعكس نضال الإنسان للحفاظ على قيم الخير والحق والعدالة والسلام في إطار الأوطان والمجتمعات.

أوليس هذا الوطن المنتصر على كل المؤامرات والشرور، يدخل المنظمة الكونية في وسط ذهول العالم وإعجابه، كما يدخل الابن الشاطر، عائداً إلى عائلته. أو لم يكن كلام الرئيس شهادة للحق الإنساني ولقيم السلام الخلاّق والبناء في المطلق، في كل زمان ومكان، وهي شهادة يزينها الإطار اللبناني المذهل الذي أثار الاعجاب، وقد بدا واضحاً في وجوه الوفود وأكفها، وهي تتعرف إلى حقيقة القضية اللبنانية.

إن شهادة الرئيس الجميل سواء في الجمعية العمومية، أو في مجلس الأمن تشكل مفترقاً أساسياً في تاريخ لبنان الحديث، لا لأنها أعادت تأكيد الحضور اللبناني في العالم، ولا لأنها حددت دور لبنان الحضاري الحيوي إقليمياً ودولياً فحسب، وإنما لأنها

سطرت فصلاً مشرقاً في تاريخ نضال الأمم والشعوب في سبيل الحق والعدالة والسلام.

إن طائر الفينيق الذي انبثق أمس من رماده في الأمم المتحدة، هو لبنان الجديد، وقد اختار رئيسه أن يعرّف به، كما لم يحدث من قبل، من منبر الشرعية الدولية، وإذا كان الذين حملوا حروف المعرفة إلى العالم انطلقوا من هذا الشاطىء قبل آلاف السنين، فمن هذا الشاطىء انطلق أمين الجميل اليوم يحمل إلى العالم قضية الحق ينتصر على الباطل، قضية الخير يزهق الشر، قضية الوطن الصغير يتجاوز المؤامرة الكبرى، ليؤكد حق الأمم في الحياة والبقاء والعطاء والتفاعل الإنساني الحضاري.

★ ★ ★

وإذا كان الشاعر الأميركي يقول: «أعطني رجالاً في مستوى جبالي»، وإذا كان الرئيس الجميل قال: «... ان اللبنانيين مثل جبالهم وأعون للتحدي التاريخي الذي يواجههم»... فإن الذي حمل لبنان أمس إلى العالم هو أحد هذه الجبال.

صحيح وكما قال أمين الجميل: «أعطونا السلام وخذوا منا ما يدهش العالم».

(١٩ تشرين الأول ١٩٨٢)

اعطونا السَّلام

إذا كانت بيروت قد أصبحت تشكل الباب الأميركي للعبور إلى الشرق الأوسط والخليج، فإن واشنطن أصبحت تشكل الباب اللبناني للعبور إلى السلام وإعادة البناء.

ونقطة الإلتقاء بين واشنطن وبيروت، ليست جديدة، ولا هي طارئة، ولكن زيارة الرئيس أمين الجميل جعلتها نقطة ثابتة ومستقرة، بعدما كانت منذ العام ١٩٥٨ متحركة وقابلة للانزلاق والتذبذب طبقاً لمصالح الولايات المتحدة الأميركية في المنطقة.

والمحادثات الهامة بين رونالد ريغان وأمين الجميل، لا تكتسب قيمتها التاريخية من كونها تمثل أول زيارة من نوعها يقوم بها رئيس لبناني إلى الولايات المتحدة الأميركية فحسب، وإنما لأنها وضعت الصداقة بين البلدين في إطار واضح وثابت، وأرست قواعد التفاهم والود بينهما على أطر القمة، لا على مستوى السفراء والمبعوثين كما كان يحصل في السنوات الخمس والعشرين الماضية.

ومن مجمل المعلومات المتوفرة عن محادثات الرئيسين الأميركي واللبناني، التي أسفرت كما قيل رسمياً، عن تفاهم كامل وتام بين الزعيمين، يمكن استنتاج خلاصة لافتة للنظر وذات أهمية آنية ومستقبلية في الوقت نفسه... فإذا كان رونالد ريغان قد خطا نصف الطريق في اتجاه فهم مصالح

الوطن اللبناني وتبنيها، حيث أكد بلهجة قاطعة تأييد بلاده التام لسيادة لبنان ووحدته وسلامة أراضيه، وحرصها على دعم السلطة اللبنانية في سعيها لتحقيق ما يسميه الرئيس اللبناني « مغامرة الإنقاذ والبناء »... فإن أمين الجميل قد خطا بدوره النصف الآخر من الطريق في اتجاه التأكيد على حيوية وأهمية الدور الأميركي في لبنان، في نطاق حضور واشنطن الكوني كزعيمة للعالم الحر.

ونقطة الإلتقاء الثابتة والراسخة التي أسفرت عنها محادثات ريغان والجميل، تضع العلاقات بين البلدين على مستوى جديد وجدي من الصداقة والتفاهم، وهو مستوى يستدعي لبنانياً انسحاب كل القوات الغريبة في أسرع وقت ممكن ومن دون شروط مسبقة، ويستدعي أميركياً السعي الحثيث لتنفيذ الانسحابات حتى ولو استدعى ذلك توسيع إطار ومهمات القوات المتعددة الجنسيات، التي تساعد الجيش اللبناني في إعادة بسط سلطته فوق أراضيه.

★ ★ ★

بعد الزيارة التاريخية للرئيس الجميل إلى نيويورك وواشنطن، التي أعادت تأكيد الحضور اللبناني في العالم، ووضعت القاعدة الصلبة للعلاقات مع أميركا، سيكون في استطاعة الولايات المتحدة الأميركية، أن تتعرف الى نموذج جديد من العلاقات مع الشعوب الشرق أوسطية، ربما لأن لبنان يشكل حالاً متميزة وفريدة بين دول المنطقة.

هذا النموذج المثير، لا يعتمد على المخزون النفطي مثلاً كما

هي الحال في الخليج، ولا على قاعدة التحالف العسكري كما هي الحال في عُمان، ولا على قاعدة الاستراتيجية الموحدة كما هو الوضع مع إسرائيل ومصر، وإنما على المخزون الحضاري وعلى قاعدة القيم التي تكرسها الديمقراطية والحرية، وعلى كون لبنان يشكل نقطة مضيئة من العالم الحر، في منطقة تتوق شعوبها بشكل ملح في الانتماء إلى هذا العالم.

ان ضمان الولايات المتحدة الأميركية للبنان كدولة حرة مستقلة ديمقراطية، هو في حد ذاته مصلحة حيوية ملحة للعالم الحر، الذي يهمه من دون أدنى ريب، أن تكون التجربة اللبنانية المتفوقة قاعدة نموذجية تحتذى في منطقة ذات أهمية استراتيجية، لكن شعوبها لم تقرر بعد توجهاتها المستقبلية على صعيد الحكم والنظام السياسي.

وسيكون لبنان فريداً، لأنه الوحيد القادر على أن يكون محامي العالم العربي عند العالم الغربي ووسيط العالم الغربي عند العالم العربي. انه الدور الحضاري المتميز الذي من أجله كان لبنان، وهو الدور الذي يريد الرئيس أمين الجميل أن يكرّس لبنان له، وطبعاً في إطار ترسيخ كيان لبناني ثابت وسرمدي.

ولبنان الجديد الذي يولد مع «مغامرة الإنقاذ» حقق خطوة أساسية في طريق الحياة والقيامة.

... وتكراراً: أعطونا السلام خذوا منا ما يدهش العالم.

(٢٠ تشرين الأول ١٩٨٢)

الزيارة التصحيحيّة

بعد أزمة الطاقة التي أعقبت حرب تشرين من العام ١٩٧٣، والهجمة الغربية على المنطقة طمعاً في النفط والاستثمارات، التقى أحد رجال الأعمال الفرنسيين الكبار دبلوماسياً لبنانياً في الكويت في إحدى المناسبات، وبعد حديث عن العموميات قال الفرنسي:

«الحقيقة لست أدري ماذا كانت ستفعل فرنسا في هذه المنطقة لو لم يكن هناك لبنان».

وضحك الدبلوماسي اللبناني وسأله أن يوضح ما يقصد، فقال الفرنسي:

«هل تعلم أن كل المصالح الفرنسية في الخليج هي في أيدي مديرين لبنانيين. كل الاستثمارات والإلتزامات والعقود التي حصلت عليها فرنسا تمت بواسطة اللبنانيين، وتنفذ تحت إشراف اللبنانيين، الذين يجمعون بين الثقافتين العربية والفرنسية... ان لبنان هو أهم جسر فرنسي إلى هذه المنطقة الحيوية والغنية، وأن العالم الثقافي والتلاقي السياسي، يجعلان منه الدرة الفرنسية الثمينة في المنطقة»؟

وهزَّ الدبلوماسي اللبناني رأسه موافقاً، والتفت إلى أحد النواب الكويتيين الذي كان يستمع إلى الحديث، ليترجم له ما قال رجل الأعمال الفرنسي.

★ ★ ★

منذ ذلك التاريخ حتى اللحظة التي وطأت قدما الرئيس الشيخ أمين الجميل الأرض الفرنسية، يبدو أن فرنسا نسيت أو تناست الأمثولة التي أشار إليها رجل الأعمال المذكور في الكويت، على رغم أنها لم تتعلم الثقافة العربية، ولم يتعلم العرب ثقافتها.

وفي العام ١٩٧٤ اكتشفت باريس «نقطة الضعف العربية» وقررت أن تستغلها إلى آخر الحدود. تلك كانت المسألة الفلسطينية ممثلة بـ «منظمة التحرير» وبياسر عرفات، والتي حلت في شكل تصاعدي محل لبنان في الاهتمامات الفرنسية.

وإذا كانت فرنسا أجادت تثمير موقف الجنرال ديغول من إسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧، في كسب ود الدول العربية، فإنها أجادت أيضاً تثمير دعمها للمنظمات الفلسطينية، في الوصول إلى الأموال العربية وإلى حصص النفط.

وقد جاء حين من الدهر على اللبنانيين الغارقين في سنوات المحنة، وقد فرضتها عليهم المؤامرات، محلية وإقليمية ودولية. حسبوا فيها أن فرنسا غرقت في الميكيافيلية وأغرقت في الانتهازية السياسية إلى درجة أن حكام باريس أصبحوا خير من يجيد مقايضة دم اللبنانيين بالنفط العربي.

★ ★ ★

طبعاً تاريخ العلاقات بين بيروت وباريس لم يبدأ قبل ثمانية أعوام وإنما منذ مئات السنين. وقد اتخذ طابع الامتداد الثقافي والحضاري بعد الحرب العالمية الثانية، من هنا ظل اللبنانيون

يحتفظون بشيء من الود الممزوج بالعتب حيال باريس.

وحتى عشية رحلة الرئيس اللبناني إلى فرنسا، لم يكن هناك فتور في العلاقات بين البلدين، خصوصاً مع وجود الجنود الفرنسيين في اطار القوة المتعددة الجنسيات، وإنما كان هناك امتعاض عند اللبنانيين لم يكن في استطاعة فرنسا أن تدرك أبعاده وأسبابه على رغم أنها كانت في نظر غلاة القومية العربية، تلك «الأم الحنون» يعيرون بها لبنان واللبنانيين الذين يكنون الود لها.

طبعاً «الأم الحنون» ذهبت مع الترهات الكثيرة التي رشقوا بها هذا البلد... وطبعاً دخلت العلاقات اللبنانية ـ الفرنسية الآن مرحلة جديدة هي المرحلة التصحيحية، إذ أن أفضل عنوان لزيارة الرئيس الجميل باريس، هو الزيارة التصحيحية التي تعيد تصحيح العلاقات الوثيقة بين البلدين وفي نطاق إطار جديد أعاد تأكيد أهمية لبنان الحضارية في الشرق الأوسط، بالنسبة إلى الغرب عموماً وفرنسا خصوصاً.

★ ★ ★

عندما صافح الجميل ميتران على مدخل قصر الاليزيه، كان لبنان الجديد يثبت وجوده وحضوره في أهم بلد أوروبي، لبنان الذي حقق استقلاله بالدم والشهادة، بعدما كان تسلمه هدية من باريس في العالم ١٩٤٣.

(٢١ تشرين الأول ١٩٨٢)

خمسة أيام من الإبداع

سقوط لبنان من الذاكرة الدولية، احتاج إلى ثمانية أعـوام من المحنة، اكتشف الوطن الصغير في خلالها، كم هو مهمل ومتروك ويائس.

ونهوض لبنان مجدداً ومثوله في الذاكرة الدولية، احتاجا إلى خمسة أيام فقط، خمسة أيام من الإبداع، اكتشف الوطن الصغير في خلالها، كم هو كبير ومهم، واكتشف العالم كذلك، كم هو حيوي وأساسي وضروري وجود لبنان على خريطة السياسة الدولية.

خمسة أيام من الإبداع؟

هي رحلة الرئيس أمين الجميل التاريخية إلى الأمم المتحدة وأميركا وفرنسا وإيطاليا والفاتيكان التي تنتهي قبل ظهر اليوم بانتصارين:

إنتصار الجميل الذي بدأ عهده بالخروج إلى العالم شاهـراً الحق اللبناني ومصداقية القضية اللبنانية... وانتصار لبنان الذي يشغل الناس ويملأ الدنيا منذ بداية الأسبوع.

وقد يكون من المبكر تنفيذ مسلسل المكاسب الإيجابية، الذي شكل شريطاً ارتسم وراء جولة الرئيس المثقلة بالبرامج والنشاط، إلى درجة تداخلت الإيجابيات المسجلة بين نيويورك وواشنطن، أو بين العاصمة الأميركية والعاصمة الفرنسية، مما

شكل في مجمل الأمر هذا النجاح المتفوق على نفسه حتى، في طرح القضية اللبنانية، وتكريس الحضور اللبناني من جديد في العالم.

المكاسب والنتائج ستظهر تصاعداً بعد اليوم، ومن خلال ما يسميه الرئيس « مغامرة الإنقاذ والإعمار » التي تبدو بعد الآن، أنها لم تعد مغامرة، وإنما أصبحت قراراً للدولة الجديدة تعضده القوى المؤثرة إقليمياً ودولياً.

وأهمية الجولة المبدعة للرئيس الجميل، لا تكمن في تلك المكاسب والنتائج الحيوية لا بل المصيرية في بعض جوانبها فحسب، وإنما في كونها شكلت مفترقاً في التاريخ اللبناني. فلأول مرة يخرج لبنان إلى الواجهة الدولية بهذا التألق والأهمية، ولأول مرة يطرح لبنان نفسه ككيان فريد ومتميز في منطقة حيوية، ولأول مرة يفهم العالم أن بوابة الشرق الأوسط هي بيروت حقيقة، وأن بيروت هي عاصمة دولة تنهض لتكون قوية وفاعلة ومؤثرة على مستوى المنطقة والعالم، لا عاصمة دولة للترفيه والاسترخاء، كما كانت الفكرة سائدة عن لبنان قبل الحرب.

« ان لبنان هو مفتاح المنطقة، ولا سلام في المنطقة قبل السلام في لبنان »... تلك هي النقاط اللبنانية التي وضعها الرئيس فوق حروف السياسة الدولية، التي كانت إلى أمس قريب، تعتبر لبنان كسور الحساب يمكن حذفه أو إضافته في حساباتها الموضوعة للشرق الأوسط.

ويبدو أن وضع هذه النقاط فوق تلك الحروف، كان

واضحاً وصريحاً وحاسماً، إلى درجة انعكست في المواقف وردات الفعل الإيجابية، التي رافقت الجميل في تنقلاته ومقابلاته. فكان لبنان ـ كما سبق وقلنا ـ الصبي الشاطر يدهش العائلة الدولية وهو يدفع الباب عائداً إليها.

وإضافة إلى هذا الإنجاز الحيوي يعود الرئيس اليوم وفي جعبته أربعة إنجازات، تشكل منطلقاً أساسياً في طريق تحويل « مغامرة الإنقاذ والإعمار » إلى حقائق ملموسة:

• أولاً ـ لقد أصبح واضحاً أن انسحاب كل القوات الغريبة من لبنان وفي أسرع وقت ممكن ودون شروط مسبقة، يشكل مطلباً حيوياً ملحاً، تتبناه أميركا وفرنسا وإيطاليا إضافة إلى الدولة الإقليمية. وقد بدأ الحديث عن جدول زمني أميركي لتنفيذ هذا الانسحاب.

• ثانياً ـ لقد أصبح واضحاً أن عملية الانسحاب السريع وإعادة سلطة الدولة على كل شبر من الأراضي اللبنانية، تستدعي توسيع مهمات القوات المتعددة الجنسيات. وهذا يعني استطراداً توسيع الالتزام الدولي بمسيرة القيامة اللبنانية. ويبدو أن هناك اتجاهاً للتجاوب مع هذا الطلب الذي أثاره الجميل.

• ثالثاً ـ لقد أصبح واضحاً أن عملية الإعمار وإعادة البناء التي تحتاج إلى المليارات، تشكل التزاماً سياسياً ومعنوياً لدى الدول التي زارها الجميل، وحتى لدى الدول التي راقبت زياراته. ومجرّد توفر هذا الالتزام يؤمن عنصراً أساسياً من عناصر القيامة والبناء.

● رابعاً ـ لقد أصبح واضحاً، وهنا المهم، ومن خلال لقاء الرئيس مع السفراء العرب في الأمم المتحدة، انه لم يعد مسموحاً لأحد من الدول العربية، أن يناقش موضوع «عروبة لبنان» أو يجعل منه وسيلة للتدخل في شؤوننا الداخلية. فقد كان الجميل حاسماً وصريحاً عندما رفض مجرّد الحديث عن «عروبة لبنان»، على اعتبار أن الذين يتحدثون في «العروبة» وما شابه، كانوا تحت الانتدابات، يوم شارك لبنان في إنشاء الجامعة العربية.

● خامساً ـ لقد عاد لبنان قلب الشرق الأوسط في نظر العالم، وعاد الشريك المتفوق البارز في نظر دول المنطقة.

★ ★ ★

ماذا بعد؟

خمسة أيام من الإبداع، تشكل مقدمة مثيرة ومدهشة لست سنوات من الحكم، في استطاعتها تحويل كل هذه الأقوال إلى أفعال، وتحويل الوعد إلى حقيقة والأمل إلى واقع ملموس.

خمسة أيام هي عنوان مكتوب العهد. والمكتوب كما يقال يقرأ من عنوانه... فابشروا!.

(٢٢ تشرين الأول ١٩٨٢)

المحامي البارع والقضيّة العادلة

الخريطة السياسية الدولية، لا تزال ترسم بالخطين الأبيض الأميركي والأسود السوفياتي أو بالعكس... كان الوضع كذلك في أيام الحرب الباردة عندما ولدت «حركة عدم الانحياز». واستمر على ما هو عليه في زمن «الوفاق»، ولم يتغير شيء فيه اليوم، والعلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي تراوح بين الوفاق والحرب الباردة.

إذاً اللون الرمادي الثالث، وهو ما بين الأبيض والأسود، لم يبرز على الخريطة الدولية، على رغم المحاولات العميقة والجادة التي بذلها الكثيرون في إطار عدم الانحياز، أو في إطار المنظمات الإقليمية والقارية، وفي مقدمتها السوق الأوروبية المشتركة التي أرادها الجنرال ديغول، خطاً ثالثاً ما بين الخط الأميركي والخط السوفياتي.

لكن منظمة دول عدم الانحياز، التي أصبحت في الثانية والعشرين من عمرها، لم تقف عند حدود مؤتمرها الأول الذي عقد في بلغراد في أيلول من العام ١٩٦١. فقد توسعت منذ ذلك الحين، وصارت اليوم تضم مئة دولة تقريباً بدلاً من ٢٥ في المؤتمر، لكن هذا التوسع كان أفقياً أي عددياً، وليس عمودياً من حيث التأثير على مجريات العلاقات الدولية.

ومنذ ٢٢ سنة ظلت القيمة المعنوية لكتلة عدم الانحياز على

أهميتها، عند حدود القشرة، فلم تنفذ إلى الفاعلية السياسية، واتصفت قراراتها وتوصياتها بالطوباوية على المستوى الدولي.

وإذا كان الشعار الأساسي لدول عدم الانحياز، قد تبلور في إرادة المؤسسين أمثال نهرو، وتيتو، وسوكارنو وعبد الناصر، على شكل دعوة لإسقاط المحورية الكونية، وتجميع دول العالم الثالث في آسيا وأفريقيا في نطاق تيار موحد، إلاّ أن واقع العلاقات الدولية منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، أثبت فشل ذلك الشعار.

وإذا كان بعض أهل عدم الإنحياز، لم يذهب إلى المحورية، فإن المحورية نفسها، عرفت كيف تتسلل إلى داخل الحركة، فإذا بأنفاس السوفيات تفوح داخل صفوف هذا التجمع الدولي، وإذا بفيدل كاسترو يصبح رئيساً للحركة يدير مؤتمرها الأخير الذي عقد في هافانا.

كل هذا يقودنا إلى نظرية « الاستقطاب الثنائي »، التي كان هنري كيسنجر أفضل من شرحها ودعا إليها، إذ أنه اعتبر أن في العالم قطبين جاذبين هما أميركا والاتحاد السوفياتي، وان كل الدول الأخرى تتمحور في نهاية الأمر حول هذين القطبين وبنسب مختلفة.

سوق ديغول الأوروبية المشتركة كانت اعتراضاً فرنسياً على هذه النظرية ولكنها فشلت، بدليل إغراق فرنسا ميتران الاشتراكية في « الأطلسية الأميركية »... منظمة الوحدة الأفريقية فشلت، الجامعة العربية فشلت، الخمينية المطروحة كنظرية ثالثة بين الرأسمالية والماركسية فشلت، الأمم المتحدة

نفسها فشلت، وفي طبيعة الحال كتلة عدم الانحياز على ضخامتها فشلت في إبراز اللون الرمادي الثالث فوق الخريطة السياسية الدولية.

★ ★ ★

لكن، مهما يكن من أمر، تظل مؤتمرات كتلة عدم الانحياز من المناسبات الدولية البارزة، إذ أنها تشكل منبراً يحتشد من حوله ثلاثة أرباع العالم، وتجمعاً على مستوى كوني يتيح لأصحاب القضايا، طرح قضاياهم وشرحها وإيصالها إلى هذه الكمية من الدول والشعوب، مما يشكل في حد ذاته فائدة كبرى، على الأقل لأن القرارات المتخذة في نطاق الثنائية الدولية، تتأثر بدون شك بالقناعات السائدة دولياً.

★ ★ ★

وأمين الجميل، الذي آل على نفسه التبشير بقضية لبنان وحقوقه، وطرح هذه القضية على مستوى دولي واسع، لم يكن ليدع قمة عدم الانحياز تمر من دون أن يقف، كما سبق له في الأمم المتحدة، محامياً بارعاً في القضية العادلة.

و «مغامرة الإنقاذ» في معناها السياسي الشامل تستدعي الذهاب إلى أبعد من الهند لتثبيت حق لبنان وهذا ما يفعله العهد.

(٨ آذار ١٩٨٣)

مغامرة الانقاذ

جلسة القسم الدستوري
ثكنة الفياضيّة ٢٣ ايلول ١٩٨٢

دولة الرئيس،
حضرة النواب المحترمين،
أيها اللبنانيون،

بين الثالث والعشرين من آب، والثالث والعشرين من أيلول، شهر يختصر عمراً، وعمر يختزل تاريخاً. إنهما عمر الديمقراطية اللبنانية، وتاريخ الأصالة الوطنية، الأقوى من المحنة، والأبقى على مرّ العهود.

ديمقراطيتنا في عمق الكيان، وأصالتنا في بعد الوجود، وما وقفات هذا المجلس النيابي الكريم، إلا تعبير عنهما، وتجسيد لهما.

لقد بقي المجلس، في وجه كل التحديات، بفضل تصميم أعضائه، ومبادرة رئيسه، الصورة الحقيقية للإرادة اللبنانية، ومركز الضمير الوطني، يؤكد على امتداد قراراته الشجاعة، وممارساته الواعية، إن وحدة الأرض والشعب والمؤسسات هي قدرنا المختار، وأن لا بديل منها، ولا غنى عنها.

وها هو، في الإجماع الذي حققه منذ يومين، يمثل تمسك اللبنانيين بوحدة لبنان، وإصرارهم على إنقاذه.

إنني إذ أتسلّم الأمانة من عهد، والقضية من عهد آخر، الأمانة من عهد فخامة الرئيس الياس سركيس، الذي انتهت

ولايته صباح هذا اليوم، والقضية مـن عهـد فخـامـة الرئيس الشهيـد بشير الجميّـل الذي لم يتـح لـه أن يبـدأ، أعلـن أنّ للرئيسين، على الوطن وعليّ، واجب الإنصاف للأول، والوفاء للثاني.

فالرئيس سركيس، عانى وصبر، ثابر وصمـد، والرئيس بشير، أخي ورفيقي، حلم والتزم، ناضل واستشهد، فمن حقّ ذكـراه علينـا، أن نعمـل على تحقيـق الأحلام التي راودتـه، والآمال التي علّقت عليه.

أيها اللبنانيون،

إنني أتسلّم الرئاسة والوطن في حـال مـن العنـاء والعيـاء، وحدته حقيقة في الضمائر، وواقعه تمزّق على الأرض، وتشتت، تتجاذبه الأطماع، وتتقاذفه الأهـواء، تعصـف بـه الأحقـاد، وتقوم الحواجز بين أبنائه.

والدولة تتنـازعهـا مصـالـح الدول والدويلات، معطلـة المؤسسات، منهوبة الموارد، مغتصبة المرافق.

بيروت العـاصمـة المشطـورة بين غـرب وشرق، مثخنـة بالجراح، تعاني آثار الدمار.

الجبل قلق من تفكك الأواصر بين قراه، وكثرة الفواصل بين أهله.

الشمال أصابته العاصفة التي اجتاحت لبنان، فباعدت بين جزء غال من الوطن وسائر أجزائه.

الشمال يشدنا الحنين إليه، وينادي الوطن للخروج من دوامة

المآسي والغربة، وإعادة اللحمة بين أبناء العائلة الواحدة، بروح التسامح والإخاء.

البقاع مصدر الخصب والعطاء، في أرضنا اللبنانية الطيّبة، تحوّل إلى ميدان تتصارع فيه القوى الخارجية، وتشكل تهديداً مباشراً عليه وعلى لبنان.

أما الجنوب، ففي تطلع دام إلى الوطن والدولة، متشبث بهويته اللبنانية، وانتمائه العضوي إلى الأرض الموحدة. / ١٠٤٥٢ / كلم مربع.

إن كل لبنان يأبى الإنسلاخ كما يرفض الإرتهان، ويصرّ على أن يرجع إلى نفسه ويستعيد ذاته.

أيها اللبنانيون،

إننا أمام تحديات مصيرية لا بد من مواجهتها، وأنا مصمم على تأدية واجبي كاملاً في قيادة مسيرة الخلاص.

أنا من هذا المجلس، ابن هذا الشعب الأبيّ، عشت معه، وكنّا شركاء معاناة، ورفاق قضية.

من أجل ذلك، أقول لكم أنني أخوض معكم، مغامرة الإنقاذ. إنني أراهن على المستقبل الأفضل لجميع اللبنانيين، في العنفوان والمجد، في الفرح والسعادة، وأعرف تماماً مطامح الشعب وحاجة الوطن. أول ما يحتاج إليه الوطن وحدة أبنائه، ووقوفهم سدّاً منيعاً بوجه كل ما يتهددهم من أخطار. فالوحدة الوطنية أساس الوطن، والأولوية للبنان، وللولاء

المطلق، ولن نقبل بـأيـة ازدواجيـة في الولاء، فنحـن كلنـا موحّدون، ولن نقبل شركاء في وطننا.

أيها اللبنانيون،

لن أقدم لكم برنامج عهد، لأن همّاً واحداً يتملكني الآن، هو وقف دورة العنف والنزف على أرض لبنان.

يجب أن تنتهي كل حروب الآخـريـن في لبنـان، وضـد لبنان.

يجب ضمان أمن الوطن وسلامة المواطن، ولن يتحقق ذلك إلاّ من خلال دولة قوية، مستقلة، سيّـدة، تصـون الحريـات العامة، وتعمل على جلاء جميع الجيوس الأجنبيـة عـن تـراب الوطن، ويكون جيشها من كل لبنان، لكل لبنان، وفي كل لبنان، لكي يتواجد على كل أرض لبنان، جيش قادر يضع حداً لأيّ انتهاك للحرمات أو تطاول على القانون.

أيها اللبنانيون،

في موازاة الجيش، ومن أجل ضمان التوازن المؤسسي في الدولة، يجب أن يعود القضاء اللبناني وحده سلطة المحاكمة والحكم، فيلمع سيف العدالة فـوق كـل الرؤوس، ويتحقـق العدل.

ويجب أن تعود الإدارة خادمة للمواطن، تسهل معاملاته، فلا ترهق أعصابه ولا تهدر وقته أو حقه، لذلك فلن يكون في الدولة موضع إلا للكفـايـة والجدارة، والأهليـة لأن الدولـة ستكون مؤسسة الكرامة والتضحية والخدمة العامة.

أيها اللبنانيون،

علينا أن نستحق لبنان لكي نستعيده، علينا أن نرجع إليه لكي نسترجعه. فلقد كفانا غربة وإغتراباً، كفانا هجرة وتهجيراً، واليوم موعدنا مع العودة الجماعية إلى لبنان، إلى الأرض الطيبة المعطاء، إلى النهضة الكبرى. إنه موعد المصالحة مع النفس، مع الآخرين، موعد وحدة الإرادة، موعد القرار ووحدة القرار، التي ترسي قواعد الاستقرار الوطني وتوطد دعائم الدولة الحديثة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والإنمائية والعمرانية، وهي مواضيع سيكون، مع غيرها، لنا معها مواعيد قريبة.

أيها اللبنانيون،

إننا نزمع أن نوطد علاقات صداقة ومودة مع العالم بأسره، بدءاً بالأقربين، إخواننا العرب. فانتماء لبنان إلى محيطه العربي ليس شرطاً عليه بل خيار حرّ يحدّده واقعه ومصالحه ودوره الطليعي، وعضويته في جامعة الدول العربية.

كما نلتزم بميثاق الأمم المتحدة وشرعة حقوق الإنسان. وإذا كان لبنان يرفض الدخول في لعبة المحاور، فهو يصرّ على البقاء في عداد الدول المتمسكة بالحرية في العالم، والتي تعتمد الحوار والديمقراطية وتنبذ العنف والإرهاب وتتصدى لهذا الإرهاب.

دولة الرئيس،

حضرة النواب المحترمين،

من مقعدي بينكم، في هذا المجلس الكريم، إلى سدّة الرئاسة الأولى، لا شيء يتبدل بالنسبة إليّ غير حجم المسؤولية، فكما اضطلعت بها نائباً سأضطلع بها رئيساً، وسأفي بكل عهودي نحو الوطن المفدى.

ويا أيها اللبنانيون،

اليوم يبرم عقدنا مع المستقبل: أن تكون الدولة الشرعية، دولتكم، هي الدولة، ولا دولة سواها، وأن يكون جيش هذه الدولة جيش لبنان ولا جيش غير جيش لبنان، وأن يكون لبنان أرض سلام لبنيه، ورسول سلام في المنطقة والعالم، ويظلّ ملتقى حضارات الدنيا ورسالات السماء.

وعهدي لكم أن يكون لبنان أبداً فوق شخص الرئيس، والرئيس فوق صراعات الأحزاب والطوائف، أميناً على وحدة الوطن ومصالحه، على استقلال الدولة وسيادتها، على حق المواطن وكرامة الإنسان، ذاك أن القسم الذي أدّيت هو تزكية لالتزامي المطلق بالمبادىء التي نشأت عليها وعشتها، وسأفي بها ما حييت.

يحيا لبنان